

الصراع السعودي - القطري: الأسباب والنتائج المحتملة

عبد الله عبد الأمير



الصراع السعودي - القطري : الأسباب والنتائج المحتملة

عبد الله عبد الأمير

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد. مهمته الرئيسة، فضلاً عن قضايا أخرى، تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحوٍ خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحوٍ عام. ويسعى إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تهّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

حقوق النشر محفوظة © ٢٠١٧

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

الصراع السعودي-القطري: الأسباب والنتائج المحتملة

عبد الله عبد الأمير *

لا يمكن بأية حال من الأحوال التغاضي عن العُقد التاريخية في تعامل بلدان المنطقة فيما بينها على الرغم من حصول الكثير من المتغيرات في الظروف والبيئة السياسية. ويبرز اشتعال الأزمات المفاجئ مدى ترسخ الأحقاد والخلافات القبلية والأسرية والطائفية، ويمكن ملاحظة وجود تكرار في أنماط طبيعة العلاقات والتعامل بين بلدان المنطقة تعيدنا إلى أصول نشأة البلدان هذه المنطقة، والظروف التي شكلتها، والعقليات التي تحكمها، تجعلنا نفهم أن هذه المنطقة لا تزال تحكمها العقلية العشائرية والأسرية، أكثر مما تحكمها عقلية الدولة ورجالها.

ويبدو أن اشتعال الصراع مجدداً بين المملكة العربية السعودية وقطر -بعد أيام على انعقاد قمة رعتها المملكة العربية السعودية جمعت بموجبها عدداً من زعماء البلدان العربية والإسلامية بالرئيس الأميركي دونالد ترامب- يؤشر وينحو واضح على مدى هشاشة العلاقات الخليجية-الخليجية، وتجنذر العداء والمنافسة والخوف بين زعماء المنطقة، وعلى الرغم من أن الخلافات القطرية-السعودية ليست بالجديدة، إلا أن الأزمة تأخذ هذه المرة بُعداً جديداً؛ لأنها تدار -فيما يبدو- من قبل جيل جديد من الزعامات الشابة الأقل خبرة، بدأ مؤخراً باستلام مقاليد الأمور في المملكة العربية السعودية، وقطر، والإمارات العربية، ويمكن القول إن هذه القيادات الجديدة تمتاز بالاندفاع والبراغماتية، والرغبة بحسم القضايا مهما تكلف الأمر.

فضلاً عما تقدم فإنه لا يمكن أن نخرج الصراع السعودي-القطري، والبحريني-القطري، والإماراتي-القطري من سياقه التاريخي وإرث المشايخ والأسر الحاكمة في علاقاتها مع بعضها بعضاً. ويمكن ملاحظة نمط التعامل، والسلوك السياسي لها يتكرر عبر الزمن على وفق أنماط يسهل أن يلاحظها المتابعون للشأن الخليجي بنحو لافت للنظر على الرغم من اختلاف الظروف والشخص. ويبدو أن الظروف التي تعيشها هذه العائلات ورؤيتها للأمور لم تتغير كثيراً عما كانت عليه قبل أكثر من قرن من الزمن، فالتنافس، والعداء، والطائفية، والخوف، وطلب الحماية الأجنبية، وعدم ثبات الرؤى وهشاشة العلاقات والتحالفات، كلها تثبت ذلك؛ فهذه الأسر الحاكمة لم تتمكن إلى يومنا هذا من تخطي هذا العداء التاريخي الذي يأخذ أشكالاً مختلفة على الرغم من كل المحاولات، وتغيّر الظروف.

* باحث في مركز البيان للدراسات والتخطيط.

التحديات الاستراتيجية التي تواجه المملكة العربية السعودية:

تعتمد المملكة العربية السعودية على مثلث محوري يسمح لها بالاستمرار كنظام يتمثل بالمشهد الوهابي، ومظلة الحماية الأميركية، والنفط. ويبدو أن المملكة تمر في مفترق طرق وعمر، وغير محدد الملامح؛ فالنظام الذي أنشأه عميد الأسرة السعودية الملك عبد العزيز آل سعود في ثلاثينيات القرن الماضي يواجه تحديات وجودية وبنوية من داخل المنظومة الحاكمة، والأيدولوجيا الموجهة لنظام الحكم، وتحديات اقتصادية واجتماعية لا حصر لها، فضلاً عن بروز تغيرات كبرى تشهدها المنطقة والعالم.

يشهد العالم ولادة قد تكون عسيرة لنظام علمي جديد، لا تكون فيه الولايات المتحدة اللاعب الرئيس الأكبر فيه، وتقلص اهتمامها بالتدخل المباشر في الأزمات الدولية تحت حكم الرئيس الأميركي دونالد ترامب، بما يعنيه ذلك من تقليص التزامات الولايات المتحدة تجاه حلفائها التقليديين في أوروبا وآسيا والشرق الأوسط. وتشعر المملكة العربية السعودية بحاجس كبير تجاه أن تعطي الولايات المتحدة لها ظهرها في ظل تساؤل القيمة الاستراتيجية للنفط في الخليج، ووجود منافسين آخرين لها في المنطقة يوفرون للولايات المتحدة ما لا تستطيع هي توفيره لها، وتحول اهتمام الولايات المتحدة من الخليج إلى مناطق أخرى في العالم. ولا تزال لعنة ١١ أيلول تلاحق المملكة العربية السعودية مع وجود أصابع اتهام تظهر بين فترة وأخرى حول دور سعودي على مستويات عليا في تسهيل عمل الإرهابيين السعوديين الذين قاموا بتنفيذ اعتداءات نيويورك عام ٢٠٠١، ويمكن القول إن ضعف السعودية الاستراتيجية الأكبر يتمثل في أعمدها الثلاثة التي تعتمد عليها.

تشعر المملكة العربية السعودية منذ عام ٢٠١١ بقلق متزايد من الاضطراب الذي شهدته المنطقة على وفق ما أطلق عليه «الربيع العربي» الذي أدى إلى سقوط أنظمة ودخول بلدان أخرى في خضم حروب أهلية لا يمكن التكهن بنتائجها، ومن اختناق داخلي ولاسيما بعد فشل يعانيه نظام الحكم بصيغته ثنائية القطب بين السياسة في تقديم حلول مناسبة لمشكلات المجتمع السعودي، وضمان مستقبله وتطلعاته وتطوره، فضلاً عن صراعات الاجنحة المختلفة في سلالة الملك عبد العزيز آل سعود من أولاده وأحفاده.

وتعمل المملكة العربية السعودية بنحو مكثف على أن تطرح نفسها قائدة للعالم الإسلامي السني من خلال بذل موارد مالية وبشرية وجهود سياسية وثقافية حثيثة بنشر المشهد الوهابي في العالم كونه ورقة مهمة من أوراق السياسة الخارجية السعودية. ولكن المملكة تواجه منافسة قوية في هذا المسار، وعلى عدة مستويات، منها: التحدي الإيراني الذي نجحت في تحييده طائفيًا، وتحدي صعود

تركيا بقيادة أردوغان، ووطرح نفسها كقائد للإسلام السني الأكثر نجاحاً، وتنظيمات سنية عاملة خارج نطاق الدول وتحديداً تنظيم الإخوان المسلمين، وتنظيم القاعدة والتنظيمات السلفية الجهادية كتنظيم داعش، فضلاً عن ذلك لا يزال المذهب الوهابي الذي تروج له المملكة العربية السعودية في دائرة الاتهام على أنه الفكر الذي غذى -ولا يزال يغذي- الجماعات السلفية الجهادية في العالم.

تحاول المملكة العربية السعودية في خضم حربها بالوكالة مع إيران في أن تؤسس منظومة عسكرية وأمنية تحت قيادتها لمواجهة إيران في المنطقة، وتستند في تحركها إلى الإطار السياسي المشترك متمثلاً في مجلس التعاون الخليجي الذي تأسس في ثمانينيات القرن الماضي لمواجهة النفوذ الإيراني بعد سقوط نظام الشاه السابق، ودخول العراق في حرب طويلة مع إيران بتشجيع خليجي-سعودي. ويبدو أن القيادة الجديدة للعربية السعودية متمثلة بالشاب الأمير محمد بن سلمان قد جعلها تنطلق باتجاه أكثر اقتحامية في تعاملها مع الأزمات المختلفة؛ فهذا الاتجاه الاقتحامي قد ورط المملكة العربية السعودية في حرب في اليمن، فهي لم تنجح حتى الآن بعد مرور أكثر من عامين عليها في تحقيق نجاحات تذكر على الصعد السياسية والعسكرية، وأن تدخلها في الحرب الأهلية السورية ودعمها لجماعات إسلامية متطرفة هناك لم يصل إلى نتيجة ذات قيمة؛ ولكن المكسب الأهم الذي حققته هو تدخلها العسكري في مملكة البحرين عام ٢٠١١، حيث تحولت البحرين إثر هذا التدخل إلى بلد تابع ويتحرك على وفق البوصلة السعودية.

تواجه المملكة العربية السعودية أيضاً تحدياً آخر يتمثل في أنها تسعى لأن تكون المتحكم الرئيس في إنتاج النفط في العالم، حيث تعدّ عائدات تصدير النفط المصدر الأساس للدخل القومي السعودي وبما نسبته ٩٠٪^١. ومع الانخفاض الكبير في أسعار النفط العالمية، ومع تنوع المنافسين للعربية السعودية في إنتاج النفط وتعدددهم -بما في ذلك الولايات المتحدة معتمدة على إنتاجها من النفط الصخري-، وارتفاع النفقات العسكرية والتكاليف المتعلقة بإدارة صراعها مع إيران في المنطقة والعالم، فإن السعودية تجد نفسها في وضع قلق بما يتعلق بتوفير الأموال الكافية لتغطية تلك التكاليف. وفي الوقت نفسه، فإن بلداناً مجاورة ومنافسة لها تجد نفسها في وضع مالي أفضل بكثير منها، كدولة قطر.

التحديات الاستراتيجية التي تواجه قطر:

تعاني قطر من عقدة خوف مزمنة من القضم والابتلاع من قبل جيرانها الخليجيين، فشبّه الجزيرة الصغيرة التي تبلغ مساحتها ١١,٦ ألف كم مربع تقريباً، ويشكل سكانها من مواطنين قطريين حوالي

1. Adam Bouyamourn, Saudi Arabia has diversified, but economy still depends on oil, The National, January 17, 2016.

١٢٪ من العدد الكلي للسكان - يبلغ عدد سكان قطر ٢,٦ مليون نسمة تقريباً حسب معطيات عام ٢٠١٦-٢، وتحدها المملكة العربية السعودية بنحو كامل من جهة حدودها الجنوبية، وتقع مملكة البحرين الى الشمال الغربي منها، فيما تشترك مع إيران والبحرين والإمارات بحدود بحرية؛ ومن هذا المنطلق يمكن فهم السلوك الاقتحامي الذي امتازت به قطر خلال العقدين الماضيين. فالتحدي المستمر بالنسبة لقطر هو صغرهما واستمرار ووقوعها تحت دائرة الخطر كدولة، وكيان سياسي وأسرة حاكمة. وقد ظلت قطر عبر تأريخها منطقة غير مستقرة، وغير آمنة، وكانت دوماً ساحة للغزوات والحروب العشائرية.

البعد التاريخي لقطر:

تاريخياً كانت قطر ولغاية عام ١٨٦٧ منطقة غير مهمة من وجهة نظر استراتيجية ولا تخضع لسيطرة جهة واحدة، لم تشعر قطر تحت زعامة أسرة آل ثاني يوماً بالاطمئنان تجاه جيرانها، وكأن الأحداث التاريخية تترك بصمتها التي توجه البلدان في مستقبلها لتكون انعكاساً لماضيها. ويبدو أن قطر لم تكن منطقة مستقرة، حالها حال منطقة الخليج في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وشكّلت الأوضاع فيها سلسلة من الحروب والغزوات المتبادلة في الساحل العربي من الخليج؛ وقد أدى عدم الاستقرار الأمني والسياسي في المنطقة، والصراع الذي كان يمتاز بالعنف إلى تشكيل العقل الحاكم في المنطقة إلى يومنا هذا، الذي يتصف بالضعف والخوف والشك والإحساس بالتهديد من الجيران والشركاء والحلفاء.

الصراع بين عائلي آل خليفة وآل ثاني:

استوطنت أسرة آل خليفة منطقة الزبارة في قطر بعد أن هاجرت من الكويت في أواخر القرن التاسع عشر. حيث تحولت المنطقة إلى مركز من مراكز تجارة اللؤلؤ في منطقة الخليج؛ وقد جذب هذا المركز أطماع الشيخ ناصر المذكور الذي كان يحكم البحرين من مقر إقامته في بوشهر، حيث توالى هجماته على بلدة الزبارة؛ وقد أدى ذلك الصراع إلى قيام ما أطلق عليه «حلف العتوب» بالهجوم على جزيرة البحرين واحتلالها عام ١٧٨٢ وخضوع الجزيرة لسيطرة أسرة آل خليفة، حيث انتقلوا إليها، مع إبقائهم على سلطتهم على الزبارة^٢، وكانت قطر دوماً مسرحاً لقتال دموي كانت تشترك فيه عدة أطراف متناحرة ضمت من بين أطراف أخرى كآل خليفة، والإيرانيين، والعمانيين وغيرهم.

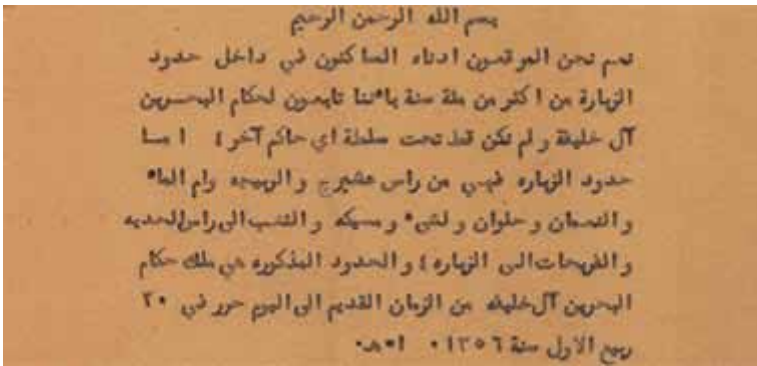
2. <https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/qa.html>

٣. المصدر نفسه.

بريطانيا وقطر:

مع صعود سطوة البريطانيين كقوة مهيمنة في الخليج قامت المملكة المتحدة عبر «شركة الهند الشرقية» بعقد سلسلة من الاتفاقيات مع أمراء الخليج فيما عرف باتفاقية «الساحل المتصالح» لعام ١٨٢٠؛ فرضت عبرها بريطانيا سلطتها في الخليج واعترفت بسلطة بعض الشيوخ والأمراء مقابل قيامهم بالتوقف عن القرصنة، وحماية طرق التجارة الحيوية التي كانت تربط مستعمراتها في الهند بالعراق، والتزامهم بمنع تجارة السلاح والعبيد، إذ ضمت هذه الاتفاقية البحرين تحت سلطة أسرة آل خليفة معترفة بسيادتهم على قطر.

ولكن مع تحول قطر إلى موقع خارج عن القانون، تدهر فيها القرصنة وبيع السلاح والعبيد، وعدم تمكن أسرة خليفة من ضبط الأوضاع فيها، ووجود قبائل متصارعة فيها دون وجود سلطة واضحة فيها، قام البريطانيون عام ١٨٦٧ وعبر الكولونيل بيلي (Pelly) بتنصيب محمد آل ثاني بشكل مباشر حاكماً لقطر دون أن توقع معه اتفاقية حماية، وقد تحقق عبر هذه الاتفاقية انفصال فعلي لشبه الجزيرة القطرية عن سلطة آل خليفة.



رسالة موجهة من حاكم البحرين إلى ضابط الاتصال البريطاني حول أحقية البحرين في منطقة الزبارة، عام ١٩٣٧^٤.

ولكن وضع قطر تحت سلطة أسرة آل ثاني من قبل البريطانيين لم يحقق السلم والاستقرار لهذه المنطقة المضطربة. فقد بقيت منطقة الزبارة وغيرها من مناطق متمردة على سلطة آل ثاني، وبقيت قطر موقعاً لعدم الاستقرار والحروب والغارات التي تشنها العشائر المتقاتلة بين جهتي البحر والبر. وفي عام ١٩١٦ وقعت الحكومة البريطانية اتفاقية مع حاكم قطر الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني أصبحت

4. The British Library, India Office Records.

قطر بموجبها تحت الحماية البريطانية، واستمرت قطر تحت الحماية البريطانية إلى عام ١٩٧١.

تأريخ الوجود التركي في قطر:

لم تمر بضع سنوات على تنصيب محمد آل ثاني حاكماً على الدوحة من قبل البريطانيين حتى استنجد بالأتراك طالباً منهم الحماية، ويبدو أن البريطانيين ولغايات غير معروفة لم يقرروا الدخول كطرف لحماية أسرة آل ثاني ضد الغزوات التي كانت تنهال عليهم من كل حذب وصوب، إذ إن شبه الجزيرة القطرية لم تكن ذات قيمة استراتيجية تستحق أن تضع بريطانيا قواتها فيها، واكتفت بمراقبة الطريق البحري وتأمينه؛ وهكذا وفي عام ١٨٧١ وبناءً على طلب من الشيخ محمد آل ثاني، فقد أرسل مدحت باشا -والي بغداد- وبعد أن أعاد السيطرة على منطقة الأحساء قوة عسكرية تركية إلى قطر، حيث أسس الأتراك معسكراً لهم في قطر، وأرسلوا قوة عسكرية قوامها ١٠٠ رجل فيها، وتم تعيين الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني قائممقاماً للمنطقة من قبل الأتراك. ولكن العلاقات بين آل ثاني والعثمانيين لم تستمر بنحوٍ سلمي على الدوام، إذ إن دخول العثمانيين إلى قطر، لم يوفر أيضاً الحماية المطلوبة لأسرة آل ثاني، حيث استمرت الغارات بالتوالي خلال الأعوام التي تلت التواجد العثماني في قطر؛ فقد حاولت قبائل من أبوظبي الاستيلاء على منطقة خور العديد وأدت الاشتباكات المسلحة إلى مقتل أحد أولاد الشيخ جاسم، وتحت هذه الظروف فقد بدأ جاسم يعلن عصيانه ضد العثمانيين، ولكن التواجد التركي استمر في قطر ولو بنحوٍ ضعيف حتى عام ١٩١٣.^٦

قبل عام من اندلاع الحرب العالمية الأولى، وقعت كل من بريطانيا وتركيا الاتفاقية الإنجلوعثمانية لعام ١٩١٣^٧، إذ تخلت تركيا بموجب هذه الاتفاقية عن أغلب المناطق التي كانت تقع تحت سيطرتها في الساحل العربي من الخليج لبريطانيا، وقد جعلت تلك الاتفاقية شبه الجزيرة القطرية تحت حكم الشيخ جاسم بن ثاني وعقبه^٨، وبعد أن تم رسم حدود قطر بشكل يخرجها عن «سنجق نجد» الذي بقي حسب الاتفاقية تحت سلطة الأتراك.

نشأة المذهب الوهابي وصعود أسرة آل سعود:

من أجل فهم أسباب الأزمات في منطقة الخليج والمنطقة، لا يمكن إغفال قراءة الجانب التاريخي

5. H. Rahman, The Emergence of Qatar: The Turbulent Years 1627-1916.

6. Helem Chapin Metz, ed. Persian Gulf States: A Country Study. Washington: GOP for the Library of Congress, 1993.

7. The Anglo-Ottoman Convention of 1913

8. Summaries of judgments, advisory opinions and orders of the International Court of Justice. The United Nations, 1997-2002.

لصعود أسرة آل سعود وانتشار المذهب الوهابي في شبه الجزيرة العربية؛ إذ إن قراءة هذا التاريخ يعطي فكرة عن ثقافة العقل الحاكم في المملكة العربية السعودية، ويمكن أن يعطي تفسيراً لأغلب مظاهر السلوك السعودي في المنطقة؛ ولذا ينبغي وضع هذا التكوين السياسي-الديني-العشائري الذي نشأ في نجد في إطار أهم العوامل المسببة للأزمات في المنطقة، والمثيرة لكثير من أوضاع انعدام الاستقرار والأمن في منطقة الخليج إلى يومنا هذا؛ وقد شكل هذا التكوين الثقافة السياسية الحاكمة السائدة في الخليج والمنطقة، وهكذا لا يمكن فهم طبيعة العقل الحاكم في منطقة الخليج، والخطاب السياسي له، والسلوكيات التي تأخذ أنماطاً متشابهة على الرغم من تغير الظروف، دون قراءة وفهم الوضع الذي تشكل في نجد في منتصف القرن الثامن عشر، وصعود أسرة آل سعود، وانتشار المذهب الوهابي.

في عام ١٧٤٥ نشأ تحالف بين جد الأسرة السعودية محمد بن سعود ورجل الدين محمد بن عبد الوهاب؛ إذ شكّل هذا التحالف ما سيتحول لاحقاً إلى واحد من أكثر أنماط الحكم غرابة وإثارة للاهتمام في المنطقة والعالم هو الجمع بين الغطاء الديني المتطرف والسعي للسلطة والهيمنة لرجل العشيرة؛ فقد وقر هذا التحالف الغطاء الديني المتطرف لممارسات شيخ العشيرة وطموحاته، وتوفير السلاح والرجال والحماية والعنف لحماية ونشر أفكار رجل الدين فقد كانت وصفة متطرفة بكل اتجاهاتها، مهدت لتوسيع نطاق سلطة أسرة آل سعود، وتوسيع نطاق نشر فكر محمد بن عبد الوهاب؛ وقد أحدث ذلك خللاً بالغاً في توازنات القوى في شبه الجزيرة العربية وما جاورها من مناطق ولمدة تزيد على الستين عاماً، بل إن الخلل لا تزال تأثيراته ماثلة للعيان إلى يومنا هذا.

وقد تحولت منطقة نجد وما جاورها إلى منطقة صراع دموي ومستمر بين الحلف السعودي-الوهابي وقبائل لم تكن ترضى بالانضمام تحت سلطة هذا الوضع الناشئ، وفي بدايات القرن الماضي نجح هذا الحلف على وفق سياسة السيف والتعاليم الدينية بيسط نفوذه على أغلب مناطق نجد وما جاورها وصولاً إلى الأحساء الغنية بمواردها الزراعية والمالية، وقد تبنت بعض القبائل خارج نجد المذهب الوهابي لما وجدت فيه من مساحة تشرعن دينياً لممارسات الاعتداء والهيمنة والغزوات، وإدارة الصراع مع المنافسين والأعداء. وتذكر المصادر التاريخية أن أسرة آل ثاني قد تبنت أفكار محمد بن عبد الوهاب المتشددة في صراعها الدموي مع أسرة آل خليفة؛ من أجل السيطرة على شبه الجزيرة القطرية، وتبنت قبائل القواسم التي تسكن أجزاء من سواحل ما يعرف اليوم بالإمارات العربية المتحدة الفكر نفسه لتشرعن لنفسها عمليات السلب والقرصنة التي كانت تمارسها في منطقة الخليج^٩.

9. Leslie McLoughlin, Ibn Saud Founder of a Kingdom. Palgrave MacMillan, 1993.

10. Qatar: A Country Study, Helem Chapin Metz. Federal Research Division, Library of Congress. 1993.

استمرت الحركة الوهابية تحت قيادة أسرة عبد العزيز بن محمد آل سعود بالتمدد إلى مناطق خارج نجد، فوصلت بغاراتها إلى مدينة كربلاء الشيعية عام ١٨٠١، وعاثت فيها قتلاً وتدميراً، ووصولاً إلى الحجاز حيث سيطرت على مكة والمدينة عام ١٨٠٣، وقد مثل ذلك فيما يبدو تجاوزاً للخطوط الحمراء وأثار استعداء العثمانيين، وفي الوقت نفسه كانت الحركة الوهابية تفقد زخمها بوفاة مؤسسها محمد بن عبد الوهاب عام ١٧٩٢، كما فقدت قائدها العسكري عبد العزيز بن محمد آل سعود بوقت قصير قبل الاستيلاء على مكة، ولكن الحركة الوهابية استمرت في التحرك تحت قيادة أسرة آل سعود ممثلة بسعود بن عبد العزيز الذي توفي عام ١٨١٤، ليخلفه ولده عبد الله في قيادة الغزوات الوهابية في المنطقة.

وسط هذه الظروف من الفوضى التي أثارها الحركة الوهابية-السعودية جهز المصريون جيشاً لاسترجاع الحجاز عام ١٨١٦، حيث تم احتلال قرية الدرعية، مركز الحركة عام ١٨١٨ وتم أسر عبد الله بن سعود وأرسل إلى إسطنبول ليتم تنفيذ حكم الإعدام فيه هناك في العام نفسه^{١١}.

الإمارة السعودية-الوهابية الثانية:

لم يتم القضاء تماماً على الحركة الوهابية، إذ سرعان ما عادت أسرة آل سعود إلى قيادة حرب جديدة لاستعادة مجد الأسرة المفقود دون أن تتخلى عن لواء المذهب الوهابي، ولكن بعقلية مختلفة هذه المرة؛ فقد قام العثمانيون وعبر محمد علي حاكم مصر بنفي أفراد أسرة آل سعود ووضعهم تحت الإقامة الجبرية في مصر، فضلاً عن «المطاوعة» أو رجال الدين في المذهب الوهابي خلال الأعوام التي تلت القضاء على تحركهم في عام ١٨١٨^{١٢}، ولكن الأمور لم تهدأ في نجد، وعلى الرغم من القسوة المفرطة التي أبداها الجيش المصري في تعامله، فقد نجح تركي بن عبد الله بن سعود بالفرار من قبضة الجيش المصري عام ١٨٢٠، وعاد إلى نجد ليقود من جديد سلسلة من الحروب ضد المنافسين له في مساعيه للسيطرة والتوسع في نجد، ولكنه خضع لسلطة العثمانيين، ولم يدخل في صراع مباشر معهم كما فعل والده، من عام ١٨٢٣ إلى حين وفاته عام ١٨٣٤، وقد أعاد تركي بن عبد الله وضع عدم الاستقرار في المنطقة وأسس ما يطلق عليه المؤرخون «الدولة السعودية الثانية»^{١٣}.

توسعت سلطة تركي بن عبد الله إلى الأحساء شرقاً وامتدت لتغطي مساحات من أبوظبي وعمان؛ حيث بدأ بعض أمراء الساحل العربي من الخليج وخشية الوقوع تحت التهديد الوهابي-

11. Selim Kuru, Turkey's 200-Year War against ISIS, The National Interest , July 24, 2015.

12. Madawi Al-Rasheed, A History of Saudi Arabia

13. Alexei Vassiliev, The History of Saudi Arabia

السعودي الجديد بالتفاوض مع البريطانيين الذين كان وجودهم يتنامى في منطقة الخليج لحماية طرق التجارة التي تربط الهند بالعراق وأوروبا لدرء هذا الخطر عنهم. وعلى الرغم من ذلك فقد كان كامل الساحل العربي من الخليج يخضع بشكل أو بآخر لسلطة الوهابيين ودفع لهم الإتاوات بحلول عام ١٨٣٣^{١٤}، ولكن مقتل تركي بن عبد الله على يد أحد أقربائه عام ١٨٣٤ وتسلم ولده فيصل القيادة أدت إلى ظروف أكثر صعوبة في نجد انمازت بالجفاف وانتشار الجاعة، واتساع نطاق ترمد عشائري ضد سلطته، واستمرار الحروب والمؤامرات من قبل آل خليفة ضد أسرته، وتأهب الجيش المصري لغزو نجد من جديد.

كان محمد علي حاكم مصر يستشعر خطورة الوهابيين على شبه الجزيرة العربية، ولاسيما على منطقة الحجاز. ابتداءً محمد علي خطته بالطلب من فيصل بن تركي المشاركة في الحرب التي كان يخوضها في منطقة عسير. ولكن تردد فيصل بالمشاركة في الحرب استخدم ذريعة من قبل قادة محمد علي العسكريين لغزو الرياض.

وفي عام ١٨٣٨ سقطت الرياض على يد الجيش المصري، وانتهى حكم فيصل بن تركي فعلياً، حيث تم أسره ونفي إلى مصر. وفي الوقت نفسه قام المصريون بتنصيب خالد بن سعود -شقيق جد فيصل من أبيه- أميراً على الرياض بدلاً عنه وهو كان بعيداً عن أجواء الوهابية في أثناء فترة إقامته في مصر. ويبدو أن المصريين كانوا يرغبون برؤية حاكم أكثر اعتدالاً في الرياض، وقد وجدوا غايتهم في خالد بن سعود؛ وهكذا تم إخضاع أجزاء كبيرة من شبه الجزيرة العربية تحت سلطة حاكم مصر، من نجد مروراً بالأحساء وعمان وأطراف العراق؛ ولكن ذلك لم يدم طويلاً، إذ إن قرار محمد علي بسحب جيشه من نجد والأحساء عام ١٨٤٠، ونجاح فيصل بن تركي في الهروب من مصر وعودته إلى نجد عام ١٨٤٣^{١٥} أدى إلى اندلاع الحروب في نجد وأطرافها من جديد. ولكن وفاة فيصل في عام ١٨٦٥، وتنازع ولديه عبد الله وسعود على الزعامة أضعف وضع أسرة آل سعود، وأدى إلى خسارتها السلطة في عام ١٨٩١ لصالح آل الرشيد (حكام حائل) وخسرت أسرة آل سعود السلطة مرة أخرى، فقد سقطت بلدة الرياض وتم نفي أسرة آل سعود منها.

إمارة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود:

ولد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود عام ١٨٨٠، وقد كان عمره يقارب خمسة عشر عاماً حينما تم نفيه مع أسرته إلى خارج الرياض، وقد تشكلت شخصيته منذ الطفولة في

14. A.J. Wilson, Persian Gulf.

15. Leslie McLoughlin, Ibn Saud, Founder of a Kingdom

أجواء الاحتراب والمعارك والمؤامرات التي كانت تخوضها أسرته، في ظل الانهيار لزعامة الأسرة، وقد أدرك أن أسباب الانهيار كانت تتمثل بغزو الجيش المصري، وعدم استقرار الولاءات لدى البدو، وسهولة شراء ذممهم، وتأثير التسليح الحديث لحسم المعارك^{١٦}؛ وهي مبادئ يمكن ملاحظتها قائمة إلى يومنا هذا في سياسات الأسرة المالكة السعودية في تعاطيها مع الأحداث الداخلية والإقليمية. ولسخرية الأقدار فقد كان لقطر دور في تكوين شخصية عبد العزيز، فقد استقرت أسرته بعد نفيها من بلدة الرياض تحت حماية قبيلة آل مرة في قطر، حيث تعلم منها كثيراً من الأمور التي صاغت شخصيته كحاكم، ولكن أسرته انتقلت إلى الكويت، ومن منفي الأسرة هناك بدأ عبد العزيز يعد العدة لاسترجاع سلطة أسرة آل سعود في الرياض فيما بعد.

تمكن عبد العزيز آل سعود من استعادة بلدة الرياض من قبضة آل الرشيد عام ١٩٠٢، وقد فتح ذلك صفحة جديدة من الصراع والأزمات في منطقة نجد وما جاورها، ومهد لتأسيس المملكة العربية السعودية بشكلها الحالي، وقد أقدم عبد العزيز آل سعود على شن غزوات مستمرة لإخضاع نجد وما جاورها تحت سلطته، وقام بتوجيه قوة مسلحة بقيادته إلى قطر في عام ١٩٠٥ حيث أثار هذا التحرك رد فعل البريطانيين الذين رأوا فيه خطراً على البحرين، وحذروه من أنهم لن يتسامحوا في تقدمه في منطقة الخليج، مما أجبره على الانسحاب؛ ولكن سيطرته على الأحساء في عام ١٩١٣ -وهي المنطقة التي كانت تخضع للأتراك- تمت بمساعدة بريطانية ومن قبل الكولونيل شكسبير، الذي ارتبط به بعلاقة وثيقة. ولكن علاقة عبد العزيز آل سعود مع البريطانيين لم تكن دائماً مريحة، فاتفاقية بريطانيا مع العثمانيين لتحديد وضع منطقة الخليج لعام ١٩١٣ عدت ابن سعود من رعايا الدولة العثمانية. وتوجد اتفاقية موقعة بين ابن سعود والعثمانيين عثر عليها البريطانيون في البصرة تثبت أنه من الرعايا الأتراك، وأنه يحكم باسمهم في نجد^{١٧}. وقد استمرت المفاوضات البريطانية مع ابن سعود إلى أن تم توقيع الاتفاقية البريطانية-السعودية عام ١٩١٥ بين بيرسي كوكس وعبد العزيز آل سعود، وقد منعت الاتفاقية من توسع ابن سعود شرقاً في منطقة الساحل العربي للخليج، بينما أطلقت يده للتوسع غرباً باتجاه الحجاز. حيث اعترفت بريطانيا بسلطته وسلطة عقبه على نجد والأحساء، والتزمت بحماية سلطته ضد أي اعتداء، بينما تعهد حاكم نجد بالألا يدخل في علاقات مع قوى أجنبية أخرى، وألا يقوم ببيع أو تأجير مناطق خاضعة لسلطته لقوى أجنبية، وألا يقوم بالاعتداء على أية مشايخ أو مناطق تخضع للحماية البريطانية في منطقة الخليج، ويشمل ذلك: مسقط، وأبوظبي، وقطر، والكويت، ودبي. وفي المقابل حصل حاكم نجد على قرض قيمته ٢٠ ألف جنيه إسترليني، و ٢٠٠ ألف قطعة

16. Leslie McLoughlin, Ibn Saud, Founder of a Kingdom, p. 12.

١٧. المصدر نفسه، ص ٤٦.

ذخيرة وراثياً شهرياً بقيمة ٥ آلاف جنيه إسترليني، وقد أدى الكولونيل شكسبير دوراً كبيراً في إبرام هذه الاتفاقية، قبل مقتله بعدة أشهر في عام ١٩١٥ في أثناء مشاركته حاكم نجد في معركة من معاركه العشائرية^{١٨}.

ولكن عبد العزيز آل سعود لم يكن راضياً فيما يبدو عما آلت إليه الاتفاقية، فهو كان يستحضر الغزوات التي قامت بها أسرته في السابق للتوسع في الخليج، وحسبما تذكر بعض المصادر البريطانية، فإن جده فيصل بن تركي قد أخبر الكولونيل لويس بيلي، المعتمد البريطاني في الخليج في أواخر القرن التاسع عشر بأن «الأراضي الممتدة من الكويت مروراً بالقطيف ورأس الخيمة وما وراء «رأس الحد» هي أراضٍ قد أعطيت من الله لنا»^{١٩}.

لم تتوقف مساعي ابن سعود لضم ما يستطيع ضمه إلى إمارته، فبحلول عام ١٩٢٨، وقبل أعوام من إعلانه قيام مملكته، كان ابن سعود منخرطاً في معارك متواصلة مع قبائل عتيبة والعجمان ومطير، وفي الوقت نفسه ساءت علاقته مع البريطانيين؛ بسبب دخوله في نزاع مع حكام قطر وأبوظبي لمحاولاته التقدم في أراضيهم، ونشأت خلافات بينه وبين الكويت، إلى درجة أنه قرر فرض حصار تجاري عليها^{٢٠}. وكانت الأزمات مع الجيران علامة فارقة لعقل حاكم نجد في القرن العشرين، الذي أصبح ملكاً للعربية السعودية عام ١٩٣٢، وفي ظل اكتشاف النفط في المناطق التي كانت تخضع لسلطته وما جاورها.

تأسيس المملكة العربية السعودية والأزمات الحدودية مع بلدان الجوار:

كثيراً ما تخفي الأزمات الحدودية في طياتها إرثاً تاريخياً من العداة والصراع وقضايا الثأر غير المحسومة، وتستبطن الاعتداء والاستحواذ، وتؤشر تلك الخلافات على علاقة غير سوية بين الجيران تحمل الكثير من الشك والضعينة والخوف المتبادل، وهكذا فإننا يمكن أن نفهم أن طبيعة العلاقات الخليجية-الخليجية، والخليجية مع المملكة العربية السعودية هي نتاج تفاعل سلمي يتعلق من بين أمور أخرى بنشوء الوهابية، وتوسعها عبر أسرة آل سعود خلال القرنين الماضيين وصولاً إلى يومنا هذا، ومع التغير الكبير في الظروف وقواعد التعامل السياسي وغيرها من أمور، إلا أن المملكة العربية السعودية لا تزال تتعامل مع المتغيرات السياسية والأمنية والفكرية على وفق العقلية نفسها التي تبناها مؤسسوها التي

18. Jacob Goldberg, Captain Shakespear and Ibn Saud: A Balanced Reappraisal.

Middle Eastern Studies, Vol. 22, No. 1 (Jan., 1986), pp. 74-88.

19. Alexei Vassiliev, The History of Saudi Arabia, p. 372.

20. Leslie McLoughlin, Ibn Saud, Founder of a Kingdom, p. 93.

هي الاتكال على القوة الأجنبية، والمذهب الوهابي، والتسلح، والمال؛ ويبدو أن إعلان تشكيل المملكة المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢ ككيان سياسي، واكتشاف النفط، والتغيرات التي شهدتها العالم لم يكبح العقل التوسعي والهيمنة والمثير للأزمات في القيادة السعودية، وبقي العقل الحاكم في المملكة العربية السعودية يعيش عقدة الخوف من زوال الحكم الذي تعرض له مرتين في تأريخه؛ وهذا ما قد يفسر طبيعة السلوك السعودي مع جيرانه.

حمل تأسيس مجلس التعاون الخليجي عام ١٩٨١ الذي ضم البلدان العربية في منطقة الخليج الكثير من مؤشرات التفاؤل بقيام منظومة تعاون إقليمية تحل مشاكل الماضي، وتنطلق إلى المستقبل بعقلية التعاون والتفاهم المشترك، ولكن المجلس لم يحقق الكثير؛ حيث كانت الأزمات الحدودية بين بلدان منطقة الخليج، وعلى وجه الخصوص بينها وبين المملكة العربية السعودية «تعكس التغير في طبيعة فهم الأنظمة والدول في المنطقة، إذ إن بعض البلدان المتورطة في أزمات فيما بينها كانت تمثل الحدود فيها تحدياً على تأكيد استقلاليتها من الهيمنة السعودية على مجلس التعاون الخليجي»^{٢١}. ويبدو أن هذه النزاعات الحدودية التي لم يحل الكثير منها إلى يومنا هذا بين المملكة العربية السعودية وبعض جيرانها في مجلس التعاون تمثل رأس الجبل الجليدي من ركاب المشكلات والصراعات المكبوتة، إذ إن النزاع على منطقة البريمي -على سبيل المثال- التي تعدها المملكة العربية السعودية منطقة تابعة لها كانت قضية سممت العلاقات السعودية-البريطانية إلى حين انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج في عام ١٩٧١، وتمثل إحدى هذه القضايا المثيرة للاهتمام في تعامل المملكة العربية السعودية مع جيرانها الخليجين، ولا يمكن التغاضي عن المشكلات الحدودية بين المملكة العربية السعودية وعمان والكويت والعراق أيضاً. لقد كانت المملكة العربية السعودية تنظر إلى شبه الجزيرة القطرية على أنها امتداد طبيعي لها، ولا تزال قضايا الحدود عالقة بين قطر والسعودية إلى يومنا هذا، وقد تطور هذا النزاع الحدودي الذي يحمل في طياته نزاعاً أعمق وأخطر إلى صراع مسلح بين البلدين عام ١٩٩١.

العلاقات القطرية-الخليجية:

يعزو بعض الباحثين أسباب وضع قطر غير المنسجم مع محيطها الخليجي إلى عقدة الخوف من الجيران التي شكّلت تفكير حكامها منذ تأسيس الإمارة على يد البريطانيين عام ١٨٦٨^{٢٢}، فتأريخياً كانت شبه الجزيرة القطرية مسرحاً للهجمات من كل الاتجاهات من قبل جيرانها، فقد كان

21. Gwenn Okruhlik & Patrick J. Conge, The politics of border disputes on the Arabian peninsula. International Journal, Spring 1999. p. 232.

22. David B. Roberts, Understanding Qatar's Foreign Policy Objectives, Mediterranean Politics, Vol 17, No. 2, 233-239, July 2012.

التهديد الوهابي مستمراً على وجودها من جهة الجنوب، وكانت غرضاً للهجمات من قبل القبائل التي كانت تستوطن سواحل المناطق التي تشكل دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم، وكانت لسلطان عمان أطماعه في قطر، وقد كانت البحرين في صراع مستمر مع القطريين؛ ولهذا لا يوجد خيار لقطر سوى التحالف مع قوى أكبر كي تحافظ على وجودها مقابل التهديدات المستمرة في بيئة معادية، ومن الجدير بالانتباه أن هذا السلوك تشترك فيه كل الإمارات في الخليج مع بعض التباين في نوع القوة الكبرى وطبيعة التحالفات.

ولم يتغير سلوك قطر منذ نشأتها إلى يومنا هذا، فقد بقيت ضمن نظام الحماية البريطاني خلال الفترة ١٩١٦-١٩٧١، وفي الفترة التي أعقبت تشكيل مجلس التعاون الخليجي الذي انضمت اليه قطر، لم يتمكن الإطار السياسي-الأمني له من تأسيس وضع مستدام من العلاقات السلمية بين أعضائه على الرغم من مرور أكثر من ٣٦ عاماً على تأسيسه. ويبدو على قطر أنها الطير الذي يغرد بصوت عالٍ خارج السرب الخليجي الذي تحاول قيادته المملكة العربية السعودية قسراً. ولكن القوة العشائرية المسلحة بالمذهب الوهابي سابقاً أخذت عناوين وأساليب جديدة ضد الجيران اليوم.

صعود حمد بن خليفة آل ثاني:

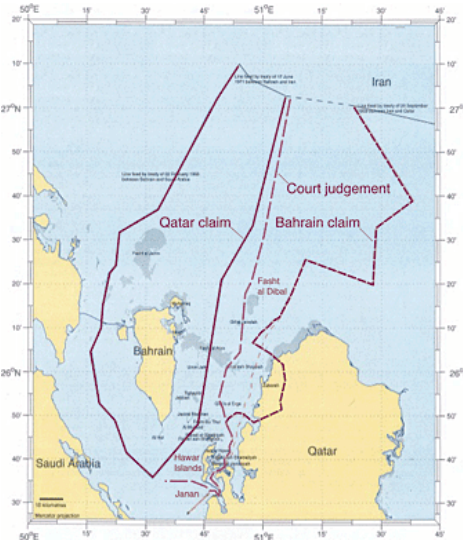
تم تعيين الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولياً للعهد ووزيراً للدفاع عام ١٩٧٧، وقد تم منحه سلطات أوسع في أواخر الثمانينيات، في عام ١٩٩٥ تولى الشيخ حمد السلطة عبر انقلاب أبيض على أبيه، ليتبنى سياسات أكثر اندفاعاً وطموحاً كانت في مجملها تتحرك باتجاه إخراج قطر من الهيمنة السعودية، واستبق الشيخ حمد الانقلاب بتطوير العلاقات بين قطر وكل من الولايات المتحدة وإسرائيل وإيران، وبعد غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠ وقعت قطر اتفاقية مع الولايات المتحدة لإنشاء أكبر قاعدة جوية لها في الشرق الأوسط غير بعيد عن المنطقة التي كانت محل تنافس حدودي بين كل من الإمارات والمملكة العربية السعودية وقطر في السابق، وقد تكفلت قطر ببناء القاعدة مالياً، حيث تم صرف مليار دولار أميركي لبناء القاعدة في تسعينيات القرن الماضي^{٢٣}، وتعد «قاعدة العديد الجوية» أكبر قاعدة جوية أميركية في منطقة الشرق الأوسط ومن أهمها لقيادة حروبها في المنطقة حيث يتواجد فيها ١٠ آلاف جندي أميركي بنحو شبه دائم^{٢٤}؛ وقد عدت قطر وجود هذه القاعدة على أراضيها من أهم الضمانات ضد أي تدخل أو هيمنة سعودية عليها، فضلاً عن ذلك فقد أطلقت قطر عام ١٩٩٦ قناة الجزيرة الفضائية المثيرة للجدل، التي أصبحت واحدة من أهم أدوات السياسة الأمنية والخارجية القطرية.

23. Kenneth Katzman, Qatar: Governance, Security, and U.S. Policy, Congressional Research Service R44533, March 15, 2017. P. 13.

24. <https://southfront.org/us-military-presence-in-qatar-al-udeid-airbase/>

الأزمات القطرية-البحرينية:

لأسباب تاريخية تتعلق بالعداء بين أسرتي آل خليفة وآل ثاني، فإن العلاقات الثنائية بين قطر والبحرين لم يمكن تصنيفها يوماً على أنها علاقات سوية، فمنذ إنشاء مجلس التعاون الخليجي عام ١٩٨١ وإلى يومنا لم ينجح البلدان في تسوية مشكلاتهما المزمنة، ومنذ استقلال البلدين بقيت المشكلات التاريخية بينهما مستمرة، وكانت تأخذ شكل النزاع الحدودي، وعلى الرغم من أن الخلاف بين البلدين كان حدودياً في ظاهره، وعلى الرغم من قد تم التوصل إلى حل بشأنه عبر تحكيم دولي، إلا أن الجانب السياسي-التاريخي منه استمر في تسميم العلاقة بين البلدين، وقد دخل البلدان في نزاع مسلح حول جزر لا تعدى مساحتها بضعة كيلومترات عام ١٩٨٦، حيث نزلت قوة مسلحة قطرية على شعاب مرجانية (شفث الدبيل) شمال جزيرة المحرق البحرينية واحتجزت عشرين عاملاً أجنبياً كانوا يقومون بإنشاء محطة لخفر السواحل البحرينية هناك^{٢٥}، واستمر النزاع «الحدودي» بين البلدين إلى تسعينيات القرن الماضي، حيث رفعت قطر قضية النزاع الحدودي مع البحرين إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي عام ١٩٩١، على الرغم من اعتراضات البحرين.



خارطة تبين الوضع الحدودي بين قطر والبحرين

وقد استمرت العلاقات بين البلدين متأزمة إلى درجة أن البحرين قاطعت مؤتمر قمة مجلس

25. Helem Chapin Metz, ed. Persian Gulf States: A Country Study. Washington: GPO for the Library of Congress, 1993.

التعاون الخليجي الذي عقد في الدوحة عام ١٩٩٦. وفي عام ٢٠٠١ أصدرت محكمة العدل الدولية قراراً ملزماً حرم البحرين من السيادة على منطقة الزبارة في شبه الجزيرة القطرية، وجزر فشت الديبل وجنان لصالح قطر، فيما حكمت بإعطاء السيادة للبحرين على جزيرة حوار؛ ولكن يبدو أن الأزمات بين البلدين لم تنته بإنهاء الخلاف الحدودي عبر التحكيم الدولي.

العلاقات القطرية-الإماراتية:

خلال الأعوام ١٨٣٦ - ١٨٦٩ تحركت عشيرة القبيسات من أبوظبي لتستقر في منطقة خور العديد في قطر هرباً من سلطة حكام أبوظبي، ومع مرور الزمن أصبح خور العديد منطقة نزاع واحتراب لمدة طويلة من الزمن، وقد أخذ النزاع شكلاً عشائرياً مسلحاً بين حكام أبوظبي وعشيرة القبيسات المتمردة على سلطتهم، وشكلاً شخصياً بين حكام أبوظبي وحكام قطر، وسياسياً بين العثمانيين والبريطانيين خلال الأعوام التي تلت ١٨٧٠، وقد تحول النزاع فيما بعد إلى نزاع بين حكام قطر وحكام أبوظبي إلى أن تم حل النزاع «وَدَيّاً» بين قطر والإمارات عام ١٩٧٤.^{٢٦}

أدى تسلم الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني السلطة في قطر عام ١٩٩٥ إلى تأزم جديد في العلاقات مع الإمارات، فقد أخذت إمارة أبوظبي موقفاً غير مؤيد لانقلاب الشيخ حمد على أبيه، من خلال استقبالها له بنحو مؤقت إلى أن تتم إعادته إلى منصبه، وقد اتهمت قطر الإمارات والبحرين والمملكة العربية السعودية بالتخطيط لانقلاب ضد القيادة الجديدة.^{٢٧}

تحول النزاع القطري-الإماراتي إلى صراع بالوكالة إثر تفجر الربيع العربي، فقد دعمت قطر وبقوة الحراك الشعبي الذي أطاح بنظام حسني مبارك وأتى بالإخوان المسلمين لحكم مصر ممثلين بالرئيس المخلوع محمد مرسي، بينما أيدت الإمارات مع المملكة العربية السعودية الحركة الانقلابية التي قام بها وزير الدفاع آنذاك عبد الفتاح السيسي عام ٢٠١٣، وقد أخذ هذا الصراع القطري-الإماراتي بالوكالة شكلاً دموياً خطيراً في ليبيا بعد سقوط نظام القذافي عام ٢٠١١ ودخول البلد في خضم حرب أهلية، كان الإسلاميون أحد أطراف الصراع فيه، وقد دعمت الإمارات حكومة طبرق، بينما دعمت قطر الحكومة ذات التوجهات الإسلامية في طرابلس، ويعكس الصراع الإماراتي-القطري الذي يأخذ شكل الحرب بالوكالة مدى عمق وتجدد الخلاف بين بلدان مجلس التعاون الخليجي الذي ترك وسيترك آثاره في تشكيل وضع ليبيا الحالي والمستقبلي^{٢٨}، وتقف كل من الإمارات وقطر على طرفي نقيض حيال التعامل

26. Qatar's history of turbulent relations with UAE, Gulf News, April 2, 2014.

27. Ibid.

28. Giorgio Cafiero, Daniel Wagner, How the Gulf Arab Rivalry Tore Libya Apart, The National Interest, December 11, 2015.

مع حركة الإخوان المسلمين، ويؤدي المال دوراً رئيساً في الصراع بينهما حول هذه القضية، ويبدو أن الإماراتيين ينظرون إلى الإخوان المسلمين وعلاقتهم بقطر على أنهم أداة فعالة تستخدمها قطر للتأثير على وضع الإمارات الداخلي ومصالحهم الوطنية.

في شهر آذار عام ٢٠١٤، حكمت محكمة إماراتية بالسجن سبعة أعوام على المواطن القطري محمد الجيدة بتهمة التعامل مع منظمة غير مشروعة (تنظيم الإخوان المسلمين)، والتآمر لقلب نظام الحكم في الامارات^{٢٩}، وقد اتهمت الحكومة القطرية الإمارات بتعذيب مواطنها، فيما انتقد رجل الدين الإخواني يوسف القرضاوي الإمارات من على التلفزيون القطري لهذا السبب^{٣٠}.

العلاقات القطرية-السعودية:

لا يمكن إغفال خصوصية التأزم الذي يفرضه وضع المملكة العربية السعودية ككيان سياسي على بلدان الجوار والمنطقة، مع ملاحظة وجود نهج توسعي ومتشدد وغير مستقر في نواة نظام الحكم السعودي الذي يسعى للهيمنة، ويخلق هذا النهج مخاوف وأزمات مع بلدان الخليج العربية والمنطقة، بل يعد هو المحرك أو المشجع لأزمات بلدان الخليج الأخرى مع قطر، سواء عبر الخضوع للسياسة السعودية أم عبر الاستفادة منها؛ لذا فإننا نحاول هنا أن نحلل عناصر هذا التأزم السعودي-القطري، الذي سيساعدنا في استقراء الأزمات المستقبلية التي ستستمر في المنطقة؛ بسبب استمرار أسباب وجودها، ففضلاً عن البعد التاريخي الذي عرضناه آنفاً من هذا البحث -وهو جانب لا يمكن إغفاله في قوة تأثيره على طبيعة العلاقات السعودية-الخليجية- ومع الضعف الاستراتيجي الذي تعانيه المملكة العربية السعودية كنظام، وطبيعة العقل الحاكم في المنطقة، التي يبدو أنها لا تزال عصية على التغيير، واستمرار شكل الأنظمة والمجتمعات بطبيعتها العشائرية التي لم تتغير كثيراً عما كانت عليه قبل قرنين من الزمن وغيرها من عوامل فإن المنطقة ستستمر في حلقة مستمرة من الصراعات والأزمات.

كانت العلاقة بين قطر والمملكة العربية السعودية دوماً معقدة، بل نستطيع القول إن العلاقات بين المملكة العربية السعودية والمناطق المجاورة لنجد كافة وليس فقط قطر، كان يغلب عليها التأزم والعداء والاحتراب المستمر وبأشكال مختلفة، ويأخذ هذا الصراع مساحات تناقض لا تسمح بتكوين أي صورة متفائلة عن العلاقات القطرية-السعودية بنحو يخرج هذه العلاقات عن الصراع التاريخي المزمّن، ولخصوصية هذا الصراع الذي يترك أثره على أغلب العلاقات في الخليج؛ لذا فإننا نحاول هنا أن نركز على مساحات الصراع المختلفة بين البلدين، ومن هذه المساحات المذهب الوهابي في البلدين،

29. Adam Schreck, UAE sentences Qatari to 7 years in Islamist trial, The Washington Examiner, Mar 13, 2014.

30. Country Profile: Qatar 2016, Religious Literacy Project, April 7, 2015.

وعلاقة قطر الخاصة بالإخوان المسلمين وتركيا، واتخاذ قطر مساراً خاصاً بها مختلفاً عن المملكة العربية السعودية في علاقتها مع إيران، وتحركها المكثف لترسيخ علاقتها مع الولايات المتحدة، وغيرها من أمور وقضايا تمثل مساحات الاحتكاك الكثيرة بينها وبين المملكة العربية السعودية تحديداً.

تذكر المصادر التاريخية أن الوهابيين تحت قيادة مؤسس أسرة آل سعود قد غزوا قطر عام ١٧٨٨، وقاموا بأعمال قتل وتدمير في القرى والبلدات التي غزوها^{٣١}. وفي عام ١٨٣٠ اضطر الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة حاكم قطر والبحرين إلى الخضوع لتركي آل سعود، حاكم الرياض وأجبر على دفع الإتاوات له تحت عنوان دفع الزكاة، في إشارة إلى فرض سلطته عليه^{٣٢}.

في عام ١٨٥٠ استولى فيصل بن تركي آل سعود مرة أخرى على شبه الجزيرة القطرية واندفع عبر البحر للاستيلاء على البحرين، ولولا تدخل البريطانيين لسقطت البحرين تحت يد آل سعود^{٣٣}. وفي عام ١٨٥٩ أعاد آل سعود الكفة لمحاولة احتلال البحرين، ولكن البريطانيين الذين ثبتوا سلطتهم في منطقة الخليج حينها وجهوا رسالة واضحة لفیصل بن تركي، وعبر المقيم البريطاني في الخليج الكابتن جونز بأن البحرين تحت حماية بريطانيا وأنها «إمارة مستقلة»^{٣٤}.

وقد وقعت البحرين في عام ١٨٦١ اتفاقية حماية مع بريطانيا، تعهد البريطانيون بموجبها بحمايتها من غارات أسرة ابن سعود المدججة بالمذهب الوهابي، ولكن أسرة آل خليفة استمرت بدفع الإتاوات لآل سعود مقابل ممتلكاتها في شبه الجزيرة القطرية.

يمكن القول إن المملكة العربية السعودية -ولأسباب ذاتية تتمثل في تركيبة كيانها السياسي وعقلية حكامها- تسعى للهيمنة على كامل الجزيرة العربية، بما في ذلك الساحل العربي في الخليج واليمن، وهي لا تشعر بالأمان بوجود بلدان مجاورة لها وإن كانت صغيرة المساحة والسكان في أن تكون خارج مدارها، ونظراً لتعقيد الأوضاع في منطقة الخليج خلال العقود الثلاثة الماضية، منذ سقوط نظام الشاه في إيران عام ١٩٧٩، والحرب الأفغانية التي كانت مدعومة أميركياً وسعودياً ضد الوجود الروسي في أفغانستان، والحرب العراقية-الإيرانية للأعوام ١٩٨٠-١٩٨٨، وغزو الكويت عام ١٩٩٠، وحرب الخليج الأولى عام ١٩٩٠، وتفجيرات نيويورك عام ٢٠٠١، وصعود القاعدة، وسقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣، وبدء الربيع العربي نهاية عام ٢٠١٠، وصعود شأن الإخوان المسلمين في المنطقة منذ عام ٢٠١٢، وسقوطهم بدءاً من عام ٢٠١٣، وصعود الأردنو غانية ذات

31. Alexei Vassiliev, The History of Saudi Arabia

٣٢. المصدر نفسه

٣٣. المصدر نفسه

٣٤. المصدر نفسه

التوجهات العثمانية في تركيا، والحرب الأهلية السورية، والتواجد الروسي في سوريا عام ٢٠١٥، والاتفاق النووي الغربي-الإيراني، وصعود تنظيم داعش عام ٢٠١٤، والتدخل العسكري السعودي في اليمن عام ٢٠١٥، وانخفاض أسعار النفط العالمية، وتصاعد التنافس والحروب بالوكالة بين المملكة العربية السعودية وإيران في المنطقة؛ كل ذلك يجعل السعودية في وضع قلق وغير مريح بالنحو الذي يضعها في دائرة الخطر من أي اهتزاز حتى لو كان صغيراً، وبمعنى آخر فإن سياسات قطر والسعودية وبقية بلدان الخليج هي سياسات أمنية بامتياز بما في ذلك السياسة الخارجية لها، وهي تسعى في مجملها للحفاظ على أنظمة الحكم فيها بنحوٍ رئيس.

أصبحت قطر إحدى أهم البلدان المارقة على الهيمنة السعودية في منطقة الخليج، ويبدو أن هذا العداء يعود إلى الشعور المتبادل بين المملكة العربية السعودية وقطر بالخطر من إحداها على الأخرى؛ فضلاً عن الإرث التاريخي المتعلق بنظرة السعودية إلى قطر على أنها جزء منها، ومشروع الهيمنة السعودية على بلدان الخليج المنضوية تحت مجلس التعاون الخليجي، فإن قطر تمتاز بعدة ميزات تثير قلق المملكة العربية السعودية، وتضعف من قوتها التنافسية في المنطقة والعالم على الرغم من صغر هذه الإمارة، وإمكانية ابتلاعها بسهولة من قبل جارها الأكبر؛ إذ تعمل المملكة العربية السعودية على أن يكون وضع قطر ماثلاً وضع البحرين حالياً ضمن ما يطلق عليه سياسة «البحرنة»^{٣٥}، ولكن المملكة العربية السعودية لم تنجح حتى الآن في ذلك المسعى.

نجحت قطر كذلك في بناء صلات مع قوى مؤثرة ولكنها خارج وضع الدول كحماس والإخوان المسلمين وحزب البعث وجيش النصر، ويبدو أن القطريين يحاولون الدخول في كل مجال أسس السعوديون فيه موقفاً للتأثير السياسي أو الأمني أو الديني أو الاقتصادي في المنطقة والعالم، ليكونوا لهم فيه نفوذاً منافساً ومخرباً للنفوذ السعودي، إن لم يستطيعوا الاستئثار به، بل عملوا على تأسيس ساحات تأثير خاصة بهم بعيداً عن أي حضور سعودي فيها، مستغلين الضعف الذي أصاب المملكة العربية السعودية في تعاملها مع الأحداث المتسارعة في فترة حكم الملك السعودي الراحل عبد الله بن عبد العزيز، وأنشأوا علاقات قوية مع قوى ودول ومؤسسات تعادي المملكة العربية السعودية أو لا تتسجم معها.

ويبدو أن قطر نجحت بتحسين نفسها لغاية الآن ضد أي عملية ابتلاع تقوم بها المملكة العربية السعودية ضدها، ونجحت كذلك في أن تكون شوكة في خاصرة جاراها العملاق ولمدة تتخطى العقدين من الزمن على الرغم من فترات قصيرة من التحالفات الهشة والتكتيكية؛ وذلك عبر سلسلة

35. Vijay Prasad, Saudi Arabia wants Qatar to Come Under its Heel: Even Old Saudi Allies Aren't Exactly Going Along with That. Alternet, June 14, 2017.

من السياسات المتنوعة والمختلفة والمتناقضة، التي دخلت على مشروع المملكة العربية السعودية الساعي للهيمنة إقليمياً والتوسع عالمياً، وتتحرك هذه السياسات القطرية التي تتعامل بنحو كبير من المرونة في أفق التنافس وبقوة ضد سياسات المملكة العربية السعودية في كل مكان توجد لنفسها فيه موضع تأثير أو نفوذ، فهي تتنافس مع السعودية في مجال الهيمنة الدينية على السنة في العالم، وفي مجال احتكار قيادة المذهب الوهابي، وفي مجال التقارب كحليف مع الولايات المتحدة في المنطقة، وفي مجال القوة الاقتصادية وتنمية الدولة والمجتمع، وتحاول بشتى السبل أن تصنع لنفسها اسماً في العالم على أنها دولة متميزة مقارنة بالمملكة العربية السعودية. وقد شكلت قطر وضعاً معرقلاً للمظلة السياسية والأمنية التي حاولت السعودية قيادتها في المنطقة ضمن إطار بلدان الخليج العربية.

ولم تكن المملكة العربية السعودية راضية عن الانقلاب الذي قام به الشيخ حمد بن خليفة على أبيه عام ١٩٩٥، وأقدمت على دعم بعض المحاولات الانقلابية في قطر لإعادة والده الشيخ خليفة إلى الحكم في عام ١٩٩٦^{٣٦}، وتعاملت معه على أنه الزعيم المعترف به لقطر.

أقدمت قطر تحت قيادة الشيخ حمد بن خليفة على اتخاذ إجراءات قاسية ضد من قام بالمحاولة الانقلابية المدعومة سعودياً، ولاسيما ضد أفراد من قبيلة آل مرة الذين شارك عدد من أفرادها في الانقلاب سيئ التخطيط والتنفيذ الذي خططت له المملكة العربية السعودية، وقد أقدمت السلطات القطرية عام ٢٠٠٤ على نزع الجنسية القطرية عن عدد كبير منهم وتم ترحيلهم إلى المملكة العربية السعودية بحجة أنهم يحملون جنسية سعودية، وفي هذا السياق لا يمكن التغاضي عن الجانب التاريخي للخلافات مهما تغيرت أشكالها، فقبيلة آل مرة كانت هي الحاضنة الأولى لأسرة آل سعود في أثناء نفيها وبجتها عن ملجأ بعد خروجها من الرياض عام ١٨٩١، وكانت المكان الأول الذي استقبل عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية في منفاه.

تقوم قطر ومنذ عام ١٩٩٥ بانتهاج سياسة متأرجحة في علاقتها المباشرة مع المملكة العربية السعودية، كعلاقة دولة مع دولة أخرى، وعلى الرغم من وجود صراع غير معلن بين البلدين، فإن قطر تعارض بقوة السياسات السعودية إذا ما وجدت الظروف مناسبة لذلك، بينما تتألى بعض السياسات السعودية وتساندها أحياناً، إذا ما وجدت هذه السياسات منسجمة مع التعاطي القطري مع الأحداث، أو تعرضت لضغط تصعب مقاومته، وتحاول من خلاله كسب الوقت أو ما تراه

36. David B. Roberts, Understanding Qatar's Foreign Policy Objectives, Mediterranean Politics, Vol 17, No. 2, 233-239, July 2012.

فرصة في إضعاف الخصم السعودي من خلال تشجيعه على التورط في أزمات عصية على الحل.

في عام ٢٠٠٢ سحبت المملكة العربية السعودية سفيرها من الدوحة على خلفية تقرير بثته قناة الجزيرة حول مؤسسها الملك عبد العزيز آل سعود، ولم يتم إعادة العلاقات بين البلدين إلا في عام ٢٠٠٨، وقد أقدمت الرياض مرة أخرى على سحب سفيرها من الدوحة تضامناً مع أبو ظبي والمنامة عام ٢٠١٤.

ولكن قطر لم تقف في سياستها بالضد دائماً من المملكة العربية السعودية، فقد اتفق البلدان على العمل معاً لإسقاط نظام بشار الأسد، ولكن سرعان ما افترق البلدان في دعمهما للفصائل المسلحة الإسلامية-السننية التي تشارك في الحرب الأهلية السورية. وقد دعمت قطر كذلك التدخل السعودي العسكري لقمع الحراك الشعبي الشيعي في البحرين عام ٢٠١١ من خلال مشاركتها بقوة رمزية ضمن ما عرف بقوة درع الجزيرة، وشاركت قطر بقوة عسكرية محدودة قوامها ألف عنصر مع ٢٠٠ عجلة مدرعة و ٣٠ طائرة أباتشي عمودية^{٣٧} ضمن التحالف الذي تقوده المملكة العربية السعودية في الحرب في اليمن، وفضلاً عن ذلك فقد انضمت قطر إلى ما أطلق عليه «مؤتمر دول التحالف ضد تنظيم داعش الإرهابي» الذي عقد في الرياض في شهر كانون الثاني عام ٢٠١٧؛ وهو مظلة حاولت السعودية من خلالها تزعم جهد إقليمي ودولي عسكري لمواجهة تنظيم داعش وتنظيمات أخرى تعدها الرياض إرهابية -من بينها تنظيم الإخوان المسلمين وحزب الله اللبناني-. وقد تبني الإعلام القطري خطاباً طائفيًا كان ينسجم كثيراً مع التوجهات الطائفية التي تتبناها السعودية، ومع اشتداد سعي الحرب الأهلية السورية، وتصاعد الخطاب الطائفي في المنطقة، وفي محاولتها لتهدئة الأمور مع السعودية، والدخول على الخطاب الطائفي الذي بدا أنه يلقي رواجًا، فقد حاولت قطر وعلى لسان الشيخ يوسف القرضاوي مناغمة هذا الخطاب، والدخول عليه، ولاسيما أن المملكة العربية السعودية كانت تستأثر به سنيًا؛ إذ ألقى الشيخ القرضاوي خطاباً طائفيًا مشحوناً في مؤتمر عقد ل «نصرة الشعب السوري» في الدوحة في كانون الأول عام ٢٠١٦ ذكر فيه أن «علماء السعودية كانوا أنضج منه في تعاملهم مع الشيعة»، وقد وصف حزب الله اللبناني بأنه «حزب الشيطان»، وأن فكرة التقارب مع الشيعة تصب لصالح الشيعة ولا يستفيد السنة منها شيئاً^{٣٨}.

37. Qatar deploys 1,000 ground troops to fight in Yemen, Aljazeera, 7 September 2015.

٣٨. القرضاوي: علماء السعودية كانوا أنضج مني، الشرق الأوسط، ٢٧ كانون الأول 2016.

أزمة آذار ٢٠١٤:

في أواخر عام ٢٠١٠ انطلقت سلسلة من الثورات في المنطقة بدءاً من تونس لتمتد إلى ليبيا ومصر وسوريا، وقد حظي هذا التغيير بمباركة من إدارة أوباما. ولكن هذا الوضع أثار قلقاً كبيراً في المملكة العربية السعودية التي اتخذت إجراءات غير مسبوقه داخلياً، وأرسلت قواتها في شهر آذار من عام ٢٠١١ لتقمع حراكاً شعبياً شيعياً واسعاً في البحرين، ولتحول هذه المملكة الصغيرة إلى موقع شبه دائم لتواجد عسكري سعودي عليها، جعلها تفقد الكثير من استقلاليتها في قراراتها السياسية، وهرعت السعودية إلى دعوة الأردن والمغرب للانضمام لمجلس التعاون الخليجي في عام ٢٠١١؛ وهي خطوة عدتها قناة الجزيرة القطرية بأنها «ضد الحراك الثوري في العالم العربي»^{٣٩}.

على عكس المملكة العربية السعودية، فقد دعمت قطر بقوة التغيير في المنطقة وبقيادة تنظيم الإخوان المسلمين في ثورات الربيع العربي. وكان سقوط نظام الرئيس المصري السابق، حسني مبارك بمنزلة انتصار للسياسة القطرية التي أدت إلى صعود الإخوان المسلمين الذين تتعامل معهم المملكة العربية السعودية كعدو لدود لتسلم القيادة في مصر في عام ٢٠١٢.

حصل انقلابان في المنطقة والخليج في عام ٢٠١٣، ففي ٣ تموز عام ٢٠١٣ أطاح الجيش المصري عبر انقلاب بقيادة عبد الفتاح السيسي بالرئيس المصري الإخواني محمد مرسي، مزيحاً بذلك الإخوان المسلمين عن سدة الحكم في القاهرة.

وفي شهر حزيران عام ٢٠١٣ أطاح الشيخ تميم بن حمد بأبيه الشيخ حمد بن خليفة بانقلاب أبيض، وجدت المملكة العربية السعودية وحلفاؤها التقليديون في مجلس التعاون أن الفرصة مواتية لتعرض قطر لهزة قوية من أجل تغيير سياساتها الداعمة للإخوان مادياً ومعنوياً، ولاسيما أن المشروع القطري-التركي في المنطقة الداعم للإخوان المسلمين كان يتعرض للانكماش، فانقلاب السيسي في مصر، وانتشار الفوضى في ليبيا، وتعرض القوى المسلحة في سوريا والمدعومة من قبل تركيا وقطر إلى هزائم، كلها كانت تشجع القيام بعمل ما بقيادة السعوديين ضد القطريين، الذين لم ينسوا الموقف القطري ضدهم.

وعلى الرغم من أن البلدان الأربعة (المملكة العربية السعودية، والإمارات، والبحرين، وقطر) تشترك في ولائها للغرب، وتتعامل مع إيران كمنافس شيعي، وتدعم بقوة قوى مسلحة سنوية لإسقاط حكومة بشار الأسد، إلا أنها تنقسم إلى فريقين متعادين في مقارنتهما للتعامل مع الأحداث في المنطقة، حيث قررت البلدان الثلاثة (المملكة العربية السعودية، والبحرين، والإمارات) في ٤ آذار عام

٣٩. تباين بشأن توسيع مجلس التعاون، قناة الجزيرة

٢٠١٤ سحب سفرائها من الدوحة، وقد ذكر البيان المشترك المتعلق بقطع العلاقات الدبلوماسية أن «عدم اتخاذ دولة قطر الإجراءات اللازمة لوضع اتفاق الرياض في ٢٣/١١/٢٠١٣ موضع التنفيذ»^{٤٠} هو الذي دعا تلك البلدان إلى سحب السفراء. وينص اتفاق الرياض على الآتي:^{٤١}

- عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي من دول مجلس التعاون بنحو مباشر أو غير مباشر.
- الالتزام بالمبادئ التي تكفل عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي من المجلس بنحو مباشر أو غير مباشر.
- عدم دعم كل من يعمل على تهديد أمن دول المجلس واستقراره من منظمات وأفراد سواء من طريق العمل المباشر أم عن طريق محاولة التأثير السياسي.

ولكن شهد شهر تشرين الأول عام ٢٠١٤ عودة العلاقات بين قطر والبلدان الثلاثة إلى وضعها الطبيعي، بعد أن طلبت قطر من سبعة قياديين في تنظيم الإخوان المسلمين مغادرة أراضيها في شهر أيلول من عام ٢٠١٤، حيث تم استقبالهم في تركيا، مع الوعد بالتوقف عن مهاجمة نظام السيسي في مصر من على قناة الجزيرة^{٤٢}.

أزمة حزيران ٢٠١٧:

في ٢٠/٥/٢٠١٧ حشدت المملكة العربية السعودية كل طاقاتها لاستقبال الرئيس الأميركي دونالد ترامب وعائلته في أول زيارة له للمملكة، حيث دعت العشرات من زعماء بلدان إسلامية وعربية وخليجية لحضور مؤتمر تحت رعايتها يجمعهم بالرئيس الأميركي الزائر، ويبدو أن السعودية كانت تحاول أن تتوج نفسها بحضور الرئيس الأميركي كزعيم للخليج والمنطقة تحت مظلة أميركية مساندة، تختلف في طريقة تعاملها معها عن طريقة تعاملها مع الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما، الذي تتهمه بأنه كان أقرب إلى إيران منه إليها. وقد حضر أمير قطر الشيخ تميم بن حمد المؤتمر، وسط أنباء تحدثت عن دفع قطر مبلغ نصف مليار دولار فدية لتنظيمات مسلحة شيعية في العراق، لقاء إطلاق سراح أمراء قطريين تم اختطافهم في جنوب العراق في وقت سابق، وبعد أيام من انتهاء المؤتمر نشرت

40. <http://www.albayan.ae/one-world/arabs/2014-03-05-1>

٤١. المصدر نفسه

42. <https://www.theguardian.com/world/2014/sep/16/qatar-orders-expulsion-exiled-egyptian-muslim-brotherhood-leaders>

تصريحات منسوبة لأمير قطر ذكر فيها أنه لا ينسجم والتوجهات السعودية التي تتحرك باتجاه إقامة نظام اقليمي أمني وعسكري تحت قيادتها ويتحرك في أفق العداء لإيران مما سبب إحراجاً للرياض، التي عملت جاهدة على الخروج بموقف خليجي موحد ومدعوم من بعض البلدان المهمة في المنطقة مؤيد لسياستها المعادية لإيران؛ مما جعل الدوحة في مرمى نيران المملكة العربية السعودية وحلفائها وسط تأييد من الرئيس الأميركي ترامب، ونفي القطريين صحة هذه التصريحات.

فجأة وكما هو معتاد في هذه المنطقة من العالم التي تشهد تغيرات حادة ومتطرفة في السياسات دونما سابق إنذار، في ٢٠١٧/٦/٥ قررت المملكة العربية السعودية ومعها الإمارات والبحرين ومصر قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الدوحة وفرضها مقاطعة اقتصادية وسياسية عليها؛ بسبب «تدخلها في الشؤون الداخلية ودعمها الإرهاب»^{٤٣}، وقد ترافق ذلك مع حملة إعلامية وسياسية غير مسبوقه ضد قطر. وقد ذكرت أنباء صحفية في ٢٠١٧/٦/٢٣ أن هذه البلدان لديها قائمة طويلة من المطالب ضد قطر تضم ١٣ بنداً قد يمهّد التزام قطر بما الطريق لإنهاء المقاطعة ضدها مع آليات مراقبة قد تستمر لعشرة أعوام^{٤٤}. وتشمل المطالب من بين مطالب أخرى، إغلاق قناة الجزيرة، وقطع العلاقات مع جماعة الإخوان المسلمين، منظمة حماس وحزب الله، إغلاق القاعدة التركية العسكرية على أراضيها، واتخاذ موقف معادٍ لإيران، والتزام قطر بعدم ممارسة أي دور يتعارض مع سياسات بلدان الخليج^{٤٥}. وقد أعرب مسؤولون خليجيون أن في حال عدم امتثال الدوحة لهذه المطالب، فإن المقاطعة الاقتصادية والسياسية قد تستمر لعشرة أعوام^{٤٦}. وقد رفضت قطر الالتزام بهذه الشروط.

الوهابية القطرية:

رسمياً تعد قطر البلد الثاني في العالم الذي يتبنى المذهب الوهابي-السلفي بشكل رسمي كمذهب للدولة بعد المملكة العربية السعودية. وتشير بعض المصادر التاريخية أن اعتناق أسرة آل ثاني للمذهب الوهابي في قطر، كانت -وكما هو النمط الذي ميز هذا المذهب منذ انتشاره إلى يومنا هذا- كان لدواعٍ سياسية بحتة، كانت تتعلق بصراع القطريين مع أعدائهم آل خليفة الذين كانوا يعادون المذهب

43. <http://www.bbc.com/arabic/middleeast-40155690>

44. <http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/fb52995b-1f51-4c5c-9cac-bfcb4105d802>

45. Qatar given 10 days to meet 13 sweeping demands by Saudi Arabia, The Guardian, 23 June, 2017.

46. Betham Mckernan, Qatar could face permanent isolation as UAE says Gulf states are considering fresh sanctions. The Independent, 28 June 2017

الوهابي في حروبهم مع آل خليفة من أجل السيطرة على شبه الجزيرة القطرية^{٤٧}.

ولكن العداء المتأصل بين قطر والمملكة العربية السعودية وقطر يتحرك أيضا وبنحو قوي في أفق من منهما هو الذي يمثل الجانب الأفضل للوهابية، ومن منهما المؤهل أكثر لقيادة هذا المذهب، ولأسباب سياسية بالطبع فالمذهب يمثل أحد أهم الدعامات التي يستند إليها نظام الحكم السعودي في استمرار وجوده، وبعد واحدًا من أسس السياسة الخارجية السعودية، ويكلف الترويج للمذهب الوهابي المملكة العربية السعودية مليارات الدولارات كل عام. وتسعى قطر لتحديد هذه الورقة السعودية المهمة، من خلال طرح نفسها بديلاً معتدلاً للمذهب الوهابي، التي تدعي أنها هي التي تمثله بأصوله، وي طرح القطريون أنفسهم على أنهم «وهايو البحر» ضد «وهايي البر» السعوديين^{٤٨}.

وعلى النقيض من السعوديين الذين يمتلكون مؤسسة دينية وهاوية متكاملة ومتداخلة مع نظام الدولة برجال دينها ومؤسساتها التعليمية والدعوية، فإن القطريين يتعاملون مع المذهب الوهابي كورقة تنافس سياسي مع السعوديين أكثر منها قضية اعتقاد. تأريخياً كانت طبقة رجال الدين القطريين من أصول سعودية. ومنذ تسعينيات القرن الماضي، ومع تصاعد التأزم في العلاقات بين البلدين، سعت قطر للتخلص من هيمنة رجال الدين هؤلاء على الواقع الديني فيها، وتحركت بقوة لاستبدالهم برجال دين سنة من عدة بلدان عربية، من مصر، واليمن، وسوريا، والعراق^{٤٩}؛ وبالتالي فإن المذهب الوهابي لا يمتلك مؤسسة فاعلة ومتجذرة في المجتمع القطري مقارنة بما هو عليه في المملكة العربية السعودية.

ويروج القطريون لأنفسهم على أنهم الأحفاد الحقيقيون لمحمد بن عبد الوهاب، مؤسس المذهب الوهابي، فكراً ونسباً، وأهم متسامحون مقارنة بجيرانهم السعوديين الأكثر تشدداً. فقطر تسمح للنساء بقيادة السيارات، وتسمح بإنشاء معابد ودور عبادة لغير المسلمين على أراضيها، وتثير هذه المقاربة القطرية في التعاطي مع المذهب الوهابي قلق السعوديين الذين ينظرون إليها على أنها قد تحرك الوضع لديهم ضد تعاطيهم المتشدد في تطبيق أحكام المذهب الوهابي في المجتمع السعودي، ويبدو أن حكام قطر يتعاطون مع المذهب الوهابي على أنه فرصة وتهديد، وهي نظرة يشتركون فيها مع حكام المملكة العربية السعودية تجاه المذهب. فهو أداة دينية-سياسية تستخدم لإضفاء الشرعية على الحكم وورقة تأثير سياسي، ولكن هذا المذهب بسبب طبيعة مقارباته الأيديولوجية قد يستخدم وسيلة ضد أساليب الحاكم وتوجهاته، نظراً لطبيعة الفكر الوهابي المتطرفة والميالة للعنف. ومع هذه النظرة للمذهب الوهابي

47. Helem Chapin Metz, ed. Persian Gulf States: A Country Study. Washington: GPO for the Library of Congress, 1993.

48. James M. Dorsey , Wahhabism vs. Wahhabism : Qatar Challenges Saudi Arabia, RSIS Working Paper, 06 September 2013.

49. Country Profile: Qatar 2016, Religious Literacy Project, April 7, 2015.

من قبل الطرفين، فإن المملكة العربية السعودية لا تنظر بعين الرضا لوجود أي منافس لها في احتكار المذهب الوهابي الذي يبدو أنه يتشردم ليتحرك في اتجاهين مختلفين ترعاها قطر والسعودية، واتجاهات أخرى تتحرك عبر ما يعرف بالسلفية الجهادية التي تتبناها تنظيمات إرهابية مثل القاعدة وداعش وجبهة النصرة وطلالان وغيرها.

جماعة الإخوان المسلمين

علاقات الجماعة مع المملكة العربية السعودية:

يعود وجود جماعة الإخوان المسلمين في منطقة الخليج إلى خمسينيات القرن الماضي، وعلى الرغم من العداء الذي تبديه المملكة العربية السعودية تجاه تنظيم جماعة الإخوان المسلمين حالياً. إلا أن تأسيس التنظيم اقترن بإعلان المملكة العربية السعودية في ثلاثينات القرن الماضي، ومن المحتمل أن مؤسس التنظيم حسن البنا قد تأثر بتنظيم «الإخوان» الوهابي، وهي ميليشيا عقائدية متطرفة من نجد أنشأها مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز آل سعود لتوسيع سلطته في أرجاء مناطق شبه الجزيرة العربية. وقد تكونت علاقة خاصة بين الملك عبدالعزيز آل سعود ومؤسس الجماعة حسن البنا عام ١٩٣٢. ومع وصول جمال عبدالناصر في مصر إلى سدة الحكم عام ١٩٥٦، ودخول المملكة العربية السعودية في صراع مع المد القومي الذي كان عبدالناصر يقوده في المنطقة، فقد تكونت علاقة مصلحة متبادلة بين المملكة العربية السعودية والجماعة أبان حكم الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر الذي بدأ يقمع الجماعة بقوة.

استقبلت المملكة العربية السعودية عددًا كبيرًا من قيادات وأعضاء الجماعة الفارين من ملاحقة نظام جمال عبدالناصر فيها في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، وقد حاول الملك فيصل بن عبد العزيز في سعيه لتحجيم الدور المصري في المنطقة بأن يستقطب أعضاء الجماعة في المملكة العربية السعودية، وقد تم تعيين عدد كبير منهم في مراكز متقدمة في الدولة السعودية وفي المعاهد وجامعات التعليم الديني فيها^{٥٠}. وقد حصل هؤلاء على قوة تأثير كبيرة في المملكة العربية السعودية إلى درجة أن عدداً من المؤسسات السعودية الدينية التي تنشط عالمياً اليوم هي من نتاج أفكار الجماعة وأطروحاتها. ومن ذلك رابطة العالم الإسلامي التي تأسست عام ١٩٧٨، ومنظمة الإغاثة الإسلامية العالمية التي تتهم مع منظمات إغاثية سعودية ودعوية أخرى في أنها تمول النشاطات الإرهابية السلفية في العالم^{٥١}.

50. Madawi Al-Rasheed, A History of Saudi Arabia. p 139.

51. Rachel Ehrenfeld, The Muslim Brotherhood Evolution: An Overview, American Foreign Policy Interests, 19 April, 2011.

إلا أن تباعداً بدأ ينشأ بين المملكة العربية السعودية وجماعة الإخوان في ثمانينيات القرن الماضي، مع زوال المصالح المشتركة بينهما. فتنظيم جماعة الإخوان لا ينسجم فكرياً مع الفكر الحاكم في المملكة العربية السعودية، فالمملكة كدولة ذات نظام ملكي تتبنى الفصل الكامل بين منظومة المذهب الوهابي الدينية الذي أعطيت له المساجد والثقافة والتعليم، وبين السياسة، وشؤون الحكم، والقوات المسلحة، والسياسة الخارجية التي هي من شأن الأسرة الحاكمة السعودية⁵²، بينما تتبنى الجماعة فكرة الدمج الكامل بين الدين والدولة. وتحمل المملكة العربية السعودية تنظيم الإخوان المسؤولية على أنه هو التنظيم الذي سيّس المذهب الوهابي، وجعل من بعض الوهابيين يتبنون الإسلام السياسي، الذين انطلق منهم تأسيس تنظيم القاعدة، ومن هؤلاء المواطن السعودي أسامة بن لادن، زعيم تنظيم القاعدة السابق، الذي كان عضواً في تنظيم الإخوان⁵³ قبل أن ينشق ليؤسس تنظيم القاعدة. وقد تطور تضارب المصالح والفصام الأيديولوجي إلى حالة خوف وعداء من جهة المملكة العربية السعودية تجاه تنظيم الإخوان؛ وذلك ولأسباب متعددة أهمها أن البذرة التي بذرها الإخوان المسلمون في الجامعات الدينية السعودية وتحديداً في الجامعة الإسلامية في المدينة في ستينيات القرن الماضي أصبحت تؤثر على الأوضاع في الداخل السعودي. حيث أنتجت الحراك المسلح الذي قاده جهيمان العتيبي عام ١٩٧٩ في مكة⁵⁴؛ وكان المئات من أعضاء هذا الحراك هم طلبة الفكر الإخواني في الجامعة الإسلامية في المدينة في ستينيات القرن الماضي.

في تسعينيات القرن الماضي ازدادت الهوة بين جماعة الإخوان والمملكة العربية السعودية، على خلفية موقف الإخوان المؤيد لنظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين ومعارضتهم دخول القوات الأميركية إلى المملكة العربية السعودية لحمايتها في أثناء حرب الخليج الأولى من غزو عراقي محتمل، وعلى خلفية التقارب القطري-الإخواني الذي كان يأخذ وضعاً استراتيجياً وسياسياً متنامياً مع قطر تحت قيادة الشيخ حمد بعد عام ١٩٩٥.

يعرف عن تنظيم الإخوان القدرة على الانتشار والتمدد بين صفوف الشباب السنة في المنطقة، وهي منطقة يشكل الشباب غالبية هرمها السكاني وتتجذر فيها القيم الدينية، ويتوافر التنظيم على قدرات وإمكانيات فنية وقيادية وحركية كبيرة، وينتشر عبر شبكاته الخدمية بين الطبقات المحرومة والمتخلفة، ويمتاز بخطابه الحدائوي مقارنة بالمدارس الدينية السنية التقليدية، ويتبنى قضايا حقوق الإنسان

52. Robert Baer, Why Saudi Arabia is Helping Crush the Muslim Brotherhood, The New Republic, August 27, 2013.

53. An interview with David Ottaway, New Era of Relations Between Egypt and Saudi Arabia?, Wilson Center.

54. Madawi Al-Rasheed, A History of Saudi Arabia. p. 139.

بنحوٍ منهجي في المنطقة، بما في ذلك المملكة العربية السعودية، وكل ذلك يمثل تحدياً خطيراً للعربية السعودية باتجاهين، هما: تحديه للخطاب الديني السلفي الوهابي السعودي التقليدي على مستوى المنطقة والعالم، وتحديه للمشروع السياسي السعودي الحاكم داخلياً، ولاسيما أن النظام السياسي في المملكة العربية السعودية يعاني من الكثير من المشكلات المزمنة في توفير حاجات المجتمع السعودي وفي تبرير مشروعيته وسط تناشز واضح بين ممارسات الحكام وأفكار المذهب الوهابي. ومما يزيد من قلق المملكة العربية السعودية هي القدرة التي استطاع من خلالها التنظيم على اكتساح الوضع السياسي في المنطقة إبان ثورات الربيع العربي، والدعم القوي الذي استطاع أن يحصل عليه من قطر وتركيا منافسا المملكة العربية السعودية في الهيمنة على الوضع السني في المنطقة.

علاقات قطر مع جماعة الإخوان المسلمين:

تعد العلاقة بين قطر وتنظيم الإخوان المسلمين من العلاقات المثيرة للاهتمام من حيث تأريخها وطبيعتها وتأثيراتها، وتتداخل هذه العلاقة دراماتيكيًا مع كثير من سياسات قطر الخارجية في الخليج والمنطقة، وتعد واحدة من أهم القضايا التي تستمر في تسميم علاقات قطر مع الخارج. وهي جزء رئيس من قناة الجزيرة، وعلاقة قطر مع تركيا، ودور الشيخ يوسف القرضاوي، رجل الدين المصري المقيم في قطر. وتعيد هذه العلاقة إلى الأذهان الوضع المهش والشعور الدائم بالخطر الذي تعيشه قطر من جيرانها، الذي يجعلها تدرك، أن مشتريات الأسلحة الضخمة، أو الاعتماد على مظلة مجلس التعاون الخليجي الأمنية، أو حتى بناء قاعدة جوية ضخمة للولايات المتحدة على أراضيها لن يمنحها ضمانات كافية لمواجهة التحديات التي تهدد وجودها في المنطقة، ولاسيما من المملكة العربية السعودية؛ مما يدفعها إلى التمسك بقوة بعلاقتها مع تنظيم الإخوان المسلمين.

إن التعقيدات السياسية الداخلية التي حصلت في مصر في خمسينيات القرن الماضي تركت تأثيراتها على الوضع في الخليج وقطر تحديداً في القرن الحادي والعشرين، وإن تلك التعقيدات تتحول إلى أدوات تأثير سياسي سلبي في الصراعات في المنطقة؛ وبالتالي فإن أية سياسة تطبق في هذا البلد أو ذاك نجدها كالفيروسات التي تسبب الأوبئة، تنتشر وتترك آثارها على مجمل الأوضاع في مناطق يصعب تصور وجود آثار لها فيها.

إننا نستطيع أن نفهم أن العلاقة بين أسرة آل ثاني في قطر وتنظيم الإخوان المسلمين في القرن العشرين تشبه إلى حد كبير العلاقة بين الحركة الوهابية والأسرة الحاكمة السعودية، فالتنظيم يوفر أدوات التأثير والانتشار والإرشاد والمواجهة لقطر، وقطر توفر الحماية والمال والإعلام والدعم اللوجستي للتنظيم.

لتنظيم جماعة الإخوان المسلمين تأريخه في قطر؛ فقد توافد عليها عدد مهم من قيادات الجماعة في خمسينيات القرن الماضي، وقد ترك التنظيم بصمته على مجالات مهمة في قطر الحديثة، ويلاحظ أن قطر كانت تحت الحماية البريطانية عندما بدأ التوافد الإخواني المكثف عليها. ففي ١٩٥٤ وصل إلى قطر عبد البديع صقر ليصبح مدير التعليم فيها؛ وتحت إدارة صقر، تم فتح الباب واسعاً أمام دخول المدرسين المصريين أصحاب التوجهات الإخوانية في النظام التعليمي القطري، وتم توجيه ذلك النظام حسب فكر جماعة الإخوان المسلمين. وقد حاول الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني الذي أصبح فيما بعد أميراً للبلاد تحييد التأثير الإخواني على النظام التعليمي القطري حيث قام باستبدال صقر بالسوري عبد الله عبد الدايم الذي كان يتبنى توجهات قومية، ولكن عبد الدايم اضطر لمغادرة منصبه بعد عام واحد إثر ضغوط مارسها المقيم البريطاني في قطر^{٥٥}.

احتل عبد المعز الستار، الذي كان مبعوث حسن البنا الخاص إلى فلسطين عام ١٩٤٦ موقعاً مهماً في النظام التعليمي القطري في بداية ستينيات القرن الماضي ليصبح مدير العلوم الإسلامية في وزارة التعليم القطرية، وليشارك بتأليف أغلب المناهج التعليمية القطرية. وأصبح كمال ناجي الشخصية الإخوانية المعروفة مدير التعليم في قطر خلال الفترة ١٩٦٤-١٩٧٩ ورئيس لجنة التأليف، ومستشار العلاقات الثقافية الخارجية في وزارة التعليم القطرية. وقد وصل الشيخ يوسف القرضاوي أحد أهم منظري جماعة الإخوان المسلمين إلى الدوحة عام ١٩٦٠ ليصبح فيما بعد عميد كلية الشريعة في جامعة قطر^{٥٦}، ويعد القرضاوي أحد أهم الأصوات الدعائية للفكر الإخواني من على منبر قناة الجزيرة، ويرتبط بعلاقة خاصة مع أسرة آل ثاني وله تأثير على علاقات قطر مع محيطها الخليجي والإقليمي.

يعزو بعض الباحثين أسباب تعمق العلاقة بين قطر والإخوان المسلمين مقارنة بالمملكة العربية السعودية، فعلى الرغم اشتراكهما بتبني المذهب الوهابي إلى أن قطر لا ترغب في أن يكون المذهب الوهابي أساساً لشرعنة النظام؛ لأن ذلك يعني ربط قطر بالمملكة العربية السعودية، كون المذهب الوهابي مرتبط بها^{٥٧}. وتسعى قطر لأن تجعل تنظيم الإخوان غير السعودي جزءاً من محاولاتها لإبعاد التأثير السعودي على وضعها الداخلي، على الرغم من تبنيها المذهب الوهابي؛ فضلاً عن ذلك فإن العلاقة بين قطر وجماعة الإخوان المسلمين تجعل قطر في الكفة الأقوى مع الإخوان؛ مما يجعلها في وضع التأثير على الإخوان^{٥٨}. ويمكن فهم طبيعة الأزمات القطرية-الخليجية ولاسيما مع السعودية وإمارة

55. David B. Roberts, Qatar and the Brotherhood, Survival: Global Politics and Strategy, 23 Jul 2014.

٥٦. المصدر نفسه

٥٧. المصدر نفسه

٥٨. المصدر نفسه

أبوظبي في الأعوام الماضية عبر التداخل المحسوب لسلوك الإخوان المسلمين الذي يتخذ من قطر قاعدة وتمويلًا مع السياسة الخارجية القطرية التي تلعب لعبة معقدة مع جيرانها المتحفظين ضدها وتعيش عقدة الخوف منهم.

في عام ٢٠١٤ أثارت تصريحات الشيخ القرضاوي الشديدة ضد الامارات والمملكة العربية السعودية رد فعل قوي من المملكة العربية السعودية والإمارات، تمثل بقطع العلاقات معها.

ومع تراجع أوضاع الإخوان المسلمين، وانحسار الربيع العربي في المنطقة في الوقت الحالي، خصوصاً في مصر. فإن الاستثمار القطري المكثف في جماعة الإخوان المسلمين كأداة تأثير سياسي وورقة نفوذ قد تحول إلى خسائر كلفت قطر الكثير من المواقع التي كسبتها خلال العقد الماضي، ومن المتوقع أن هذه الخسائر ستوجه قطر إلى البحث عن أوراق أخرى لإدارة صراعها مع السعوديين والإماراتيين، مع عدم التخلي الكامل عن ورقة الإخوان المسلمين.

قناة الجزيرة:

تتداخل مسألة قناة الجزيرة - الممولة من الحكومة القطرية - بنحو وثيق مع علاقة الدوحة مع جماعة الإخوان المسلمين من جهة ومع السياسة الأمنية والخارجية القطرية، وتتحرك قناة الجزيرة ومنذ تأسيسها عام ١٩٩٦ في أفق الدعاية والترويج لقطر ولجماعة الإخوان المسلمين، وإثارة القضايا التي تراها قطر جزءاً من سياستها المتعلقة بحماية نفسها من التهديدات الخليجية.

يسيطر تنظيم الإخوان المسلمين على قناة الجزيرة، حيث تعج بطاقم مهم على مستوى القيادة والإعلاميين من أعضاء الجماعة، وقد برز اسم وضاح خنفر، مدير القناة خلال الفترة ٢٠٠٣-٢٠١١ كواحد من أبرز الشخصيات الإخوانية التي حددت وجهة القناة إعلامياً وإيديولوجياً، وتوفر القناة منبراً مهماً للترويج لأفكار الجماعة بنحو مباشر عبر برنامج الشريعة والحياة الذي يقدم أفكار الشيخ يوسف القرضاوي وآراءه، أو بنحو غير مباشر عبر الكثير من البرامج الوثائقية والسياسية التي تتحرك في أفق إثارة قضايا يتبناها التنظيم في مناطق تواجد ونشاطه، وتعمل القناة أيضاً كمركز تدريب متطور للجماعة وغيرها من واجهات سياسية تحمل فكره في المنطقة والعالم.

وتقوم قناة الجزيرة وعلى وفق أجندة محسوبة بفتح قضايا ومسائل تراها الدوحة في دائرة اهتمامها ومصالحها في المنطقة والعالم، وفي صراع قطر مع جارتها الكبيرة المملكة العربية السعودية، فإن قناة الجزيرة تمثل الكفة المعادلة إعلامياً للإمبراطورية الإعلامية التي تمتلكها وتديرها الرياض. وتستخدم الحكومة القطرية قناة الجزيرة لفتح قنوات اتصال مع جهات وجماعات وشخصيات تصنف

على أنها غير تقليدية في التفكير، وخارجة عن القانون أو إرهابية، ولا يمكن إهمال درجة تأثير قناة الجزيرة القطرية، إلى درجة أن إغلاقها عُدَّ شرطاً من شروط المملكة العربية السعودية ومصر والإمارات والبحرين لإيقاف المقاطعة المفروضة على قطر.

تعكس قناة الجزيرة التفكير القطري في التعامل مع الظروف والأحداث، على الرغم من ادعاء الحكومة القطرية أن قناة الجزيرة مستقلة ولا تعبر عن توجهاتها، ولكن السلوك الإعلامي للقناة يتحرك في أفق سعي قطر؛ لأن تضع نفسها على خارطة العالم على أنها دولة متطورة ومعتدلة تقوم بالتوسط لحل مشكلات المنطقة وتغرد خارج السرب السعودي وحتى الأميركي أحياناً، وبراغماتية إلى درجة أنها تستطيع التعامل مع الجميع دونما شروط، ويبدو أن تغطية القناة لثورات الربيع العربي كانت تنسجم تماماً مع السياسة القطرية الرسمية التي كانت تدعم صعود جماعة الإخوان المسلمين للحكم في مصر وتونس وليبيا وسوريا. ولا يخفى أن لقناة الجزيرة دوراً مهماً في تسميم علاقات قطر مع الإمارات والمملكة العربية السعودية عبر العديد من البرامج التي تبثها، التي من أهمها أحاديث الشيخ القرضاوي في برنامج الشريعة والحياة، وأصبحت القناة أيضاً وسطاً إعلامياً واسع الانتشار لتنظيمات داعش وجبهة النصرة والقاعدة وغيرها من تنظيمات، حينما كانت تغطي أخبار الصراعات في سوريا أو العراق أو غيرها. وتدأب القناة على نشر تقارير وكالة أعماق -إحدى وسائل تنظيم داعش الإعلامية-، وقامت سابقاً بإذاعة بيانات أسامة بن لادن -زعيم تنظيم القاعدة-، وأجرت لقاءات مع زعيم جبهة النصرة وتغطي أخبار حركة حماس بشكل مكثف. وقد تم الحكم على تيسير علوني مراسل القناة السابق الذي أجرى مقابلة مع أسامة بن لادن في أفغانستان والعراق بالسجن سبعة أعوام في إسبانيا بسبب صلاته بتنظيم القاعدة عام ٢٠٠٦، وقد أجرى علوني لقاء تلفزيونياً مع أبي محمد الجولاني زعيم تنظيم النصرة بعد إطلاق سراحه لصالح القناة^{٥٩}، ويبدو أن قناة الجزيرة تعد أداة مهمة تستخدم لشراء تأييد هذه الجماعات أو تلك، أو لدرء تهديداتها على المصالح والجهود القطرية في انخراطها في الصراع المتفشي في المنطقة، أو لكسب موقع تفاوضي في حال حصول أية أزمة تكون هذه الجماعات طرفاً فيها، وتكون قطر وسيطاً لحلها.

العلاقات القطرية-التركية:

قررت قطر الاستعانة بالأترك في صراعها مع المملكة العربية السعودية والإمارات والبحرين ومصر، وقد تكون الأسباب التي تدعو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني اليوم هي نفسها التي دعت محمد

59. Thomas Joscelyn, Head of Al Nusrah Front interviewed by journalist convicted in Spain in controversial terror charges, Long Wars Journal, December 27, 2013.

آل ثاني عام ١٨٧١ للاستعانة بهم، فالمشروع القطري الذي كان يستند إلى صعود الإخوان المسلمين للحكم في المنطقة بعد عام ٢٠١١، ولاسيما في مصر، التي كانت قطر ترغب في رؤيتها قوة عسكرية وبشرية تستند إليها في مواجهة المملكة العربية السعودية قد مني بالفشل، وقد توجهت قطر إلى تركيا تحت قيادة أردوغان كي تكون هي الطرف المساند لقطر في ظل هذه الأزمة المتصاعدة. إذ إن قطر فيما يبدو لم تعد تستطيع الوثوق كثيراً بالولايات المتحدة كحليف يقف معها بقوة ضد المملكة العربية السعودية، ولاسيما مع تساؤل احتمالات انخراط الولايات المتحدة بنحو مباشر في قضايا المنطقة.

في نهاية عام ٢٠١٥ أعلنت تركيا أنها قد أنشأت قاعدة عسكرية لها في شبه الجزيرة القطرية على وفق اتفاق أمني توصلت إليه مع قطر عام ٢٠١٤ وصدقه البرلمان التركي في شهر حزيران عام ٢٠١٥. وقد ذكرت الحكومة التركية حينذاك أن عديد قواتها سيصل إلى ثلاثة آلاف عسكري تركي في تلك القاعدة، ويبدو أن هذا التقارب القطري مع تركيا عكس هواجس الدوحة من جارها الرياض، إثر قيام الأخيرة بسحب سفيرها من الدوحة عام ٢٠١٤، وتشترك قطر وتركيا بدعمهما لجماعة الإخوان المسلمين في المنطقة.

وتنظر المملكة العربية السعودية والبلدان المتحالفة معها في محور مقاطعة قطر بكثير من القلق والشك تجاه التواجد العسكري التركي في شبه الجزيرة القطرية، حيث وضع المحور السعودي مطلباً يتمثل بإخلاء التواجد العسكري التركي في قطر كشرط لإخلاء المقاطعة ضد قطر.

العلاقات القطرية-الأميركية:

لا تتصف سياسة الولايات المتحدة في المنطقة بالوضوح تحت قيادة الرئيس الأميركي ترامب، لإدارة الأميركية الحالية غير مستقرة، ومتطرفة، ومتناقضة في مواقفها، وتتعرض لضغط قوي من داخل المؤسسة الرسمية في واشنطن. ومع شعور القيادة السعودية بالارتياح لوصول ترامب إلى سدة الحكم، وإحرازها تأييداً منه لها في الصراع الذي تديره في المنطقة ضد إيران، وتحت قيادة الأمير الشاب محمد بن سلمان، الذي أصبح ولياً للعهد مؤخراً. وبعيداً عن سجلات المملكة العربية السعودية في مجالات حقوق الإنسان، وغيرها من قضايا التي كانت تثيرها عليهم الإدارة الأميركية السابقة، إذ إن السعوديين يشعرون بأنهم مطلقو اليد في التعاطي مع إيران ومع البلدان التي يعدونها مارقة على سياستهم في المنطقة.

لا يعرف على وجه التحديد ماذا جرى من حديث في الأروقة المغلقة التي جمعت ترامب وفريقه مع القيادة السعودية في أثناء زيارته لها في شهر آذار ٢٠١٧، ولكن المؤكد أن المملكة العربية

السعودية حاولت تسوية قضايا متعلقة بدور سعودي مفترض في تفجيرات ١١ أيلول، ويبدو أن الأميركيين يستخدمون هذه الورقة ضد السعوديين حالما شعروا بضرورة الضغط على الرياض، ولاسيما أن الولايات المتحدة نشرت مؤخرًا تفاصيل التحقيقات المتعلقة بتفجيرات نيويورك، وتشير إلى تورط أفراد في الحكومة، والعائلة المالكة السعودية في تسهيل تنفيذ تلك التفجيرات، ويبدو أن صدور قرار الكونغرس الأميركي بالسماح لمن تضرر من تلك التفجيرات برفع دعاوى قضائية ضد المملكة العربية السعودية في شهر تشرين الثاني ٢٠١٦ يثير كثيراً من القلق لدى السعوديين.

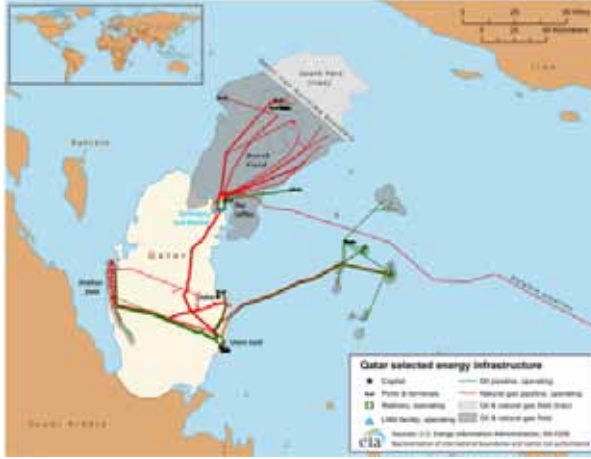
تلتصق تهمة دعم الارهاب الأصولي في المنطقة بالمملكة العربية السعودية، من خلال الدعم الفكري، والدعائي والتمويلي، وتحمل الكثير من التقارير والدراسات المهمة بشؤون المنطقة المملكة العربية السعودية مسؤولية نشرها الفكر الوهابي الذي تتبناه الجماعات السلفية الجهادية وتأثير هذا الفكر على إنتشار الإرهاب في العالم. وينخرط عدد كبير من المواطنين السعوديين في تنظيمات إرهابية. ومن المؤكد أن القيادة السعودية تحاول التملص من تلك الاتهامات من خلال إلقاء تهمة دعم الإرهاب على قطر لوحدها في ظل الوضع الحالي. بعد أن قامت المملكة العربية السعودية بسلسلة من المبادرات الاعلامية لغسل سمعتها وسجلاتها في دعم الإرهاب السلفي في العالم والمنطقة. وتعول المملكة العربية السعودية على أن تقوم الولايات المتحدة أن تقف إلى جانبها من أجل حسم صراعها مع إيران لصالحها في المنطقة. وهو أمر كان يرفضه الرئيس السابق أوباما؛ ومن المستبعد أن تقبل إدارة ترامب بتغيير التوجه الأميركي بهذا الشأن.

ومع أن كلاً من قطر والمملكة العربية السعودية تعدان حليفين مهمين للولايات المتحدة في المنطقة، ويعولان عليها كثيراً كعامل استقرار وحماية لنظام حكميهما. إلا أن الرئيس الأميركي ترامب وحسب عاداته في طرح افكاره عبر تغريداته قد أيد موقف البلدان التي تقودها المملكة العربية السعودية الأخير بمقاطعة قطر. وفي الوقت نفسه كان وزير خارجيته يحث الفرقاء على التفاوض للتوصل إلى صيغة تفاهم بينهم، ولا يستبعد أن تستخدم قطر ورقة التقارب مع إيران وتركيا وأن تقدم على طرح مسألة احتمال خسارة الولايات المتحدة لقطر كحليف استراتيجي لها في حوارها مع الإدارة الأميركية في ظل صراعها مع المملكة العربية السعودية وحلفائها.

العلاقات القطرية-الإيرانية:

تشارك قطر في حدود بحرية مع إيران، يجعلها تتشارك معها في حقل القبة الشمالي، الذي يعد أحد أكبر حقول الغاز في العالم. وفي سعيها لحماية نفسها ضد جيرانها، فإن قطر ترتبط بعلاقات طيبة مع إيران، وتنتظر قطر إلى إيران على أنها قلق قابل للتعامل معه، بينما تنظر المملكة العربية السعودية

إلى إيران على أنها خطر يهدد وجودها ككيان⁶¹.



خارطة تمثل حقل الغاز المشترك بين قطر وإيران

وتشترك إمارات أخرى في الساحل العربي للخليج في هذه النظرة مع قطر، بما في ذلك بعض إمارات دولة الإمارات العربية المتحدة، فعُمان -وهي عضو في مجلس التعاون الخليجي- على سبيل المثال ترتبط بمعاهدة أمنية مع إيران، وتجري معها مناورات عسكرية مشتركة دورياً تقريباً⁶²، ولا تتفاعل عُمان مع أغلب السياسات التي تتبناها المملكة العربية السعودية تجاه إيران، ولا يعرف عن عُمان مشاركتها في أغلب المبادرات الأمنية والسياسية التي تعلن عنها المملكة العربية السعودية كالتحالف المناهض للإرهاب الذي أعلنت عنه المملكة العربية السعودية في شهر كانون الأول عام ٢٠١٥، ولم تشترك في التدخل السعودي لقمع الانتفاضة الشيعية في البحرين عام ٢٠١١، ولم تشارك في الحرب التي تقودها المملكة العربية السعودية في اليمن، ولم تسحب سفيرها من طهران في أعقاب الاحتجاجات الإيرانية على اعدام السلطات السعودية على إعدام رجل الدين السعودي الشيعي النمر في عام ٢٠١٦⁶³، ومع ذلك فإن المملكة العربية السعودية لا تتصرف بالتشنج عينه حيال عُمان في إطار علاقتها مع إيران بالطريقة نفسها التي تتصرف بها مع قطر حيال القضية عينها؛ ولذلك اعتبارات

61. David Kirkpatrick, 3 Gulf Countries Pull Ambassadors From Qatar Over Its Support of Islamists, The New York Times, March 5, 2014.

62. Iran-Oman Naval Exercises are Sign of Regional Security Cooperation, Stratfor

63. Oman: Reform, Security, and U.S. Policy, Congressional Research Service, April 26, 2016. RS21534.

جيوستراتيجية، يبدو أنها ترتبط إلى حد كبير بسياسة قطر الاقتحامية في حماية نفسها من جارها، فضلاً عن صغر حجم قطر وموقعها الجغرافي المرتبط بالمملكة العربية السعودية، وتريد المملكة العربية السعودية من قطر موقفاً متشدداً ويدور في الأفق السعودي الذي يتصارع مع إيران في حروب بالوكالة في أكثر من جبهة في المنطقة، ويبدو أن السعوديين يراهنون على إخضاع قطر تحت هيمنتهم (وهي الحلقة الأضعف والأكثر هشاشة حالياً) مستفيدين من الموقف الأميركي، وتراجع حركة الإخوان المسلمين، ومستغلين ورقة الإرهاب ضدها، لتمهد الطريق كي تجعل مجلس التعاون الخليجي تحت مظلتهم الأمنية والسياسية في صراعهم مع إيران.

الاستنتاج:

تؤدي العوامل التاريخية دوراً مهماً في الأزمات التي تواجهها بلدان منطقة الخليج، إذ إن العداة والصراعات والحروب التي كانت قائمة بين الأسر الحاكمة في منطقة الخليج خلال قرون لا تزال قائمة على الرغم من التغيرات التي شهدتها المنطقة والعالم، ويمكن القول إن الحاكم في هذه المنطقة لا يزال رجل العشيرة، يفكر ويتعامل بالعقل العشائري، ولم يتطور بعد ليصبح رجل الدولة بعدها الحديث، وتدرك بلدان المنطقة أن وجودها كدول قد تم وفق إرادات القوى العظمى تبعاً لمصالحها وللمتغيرات والصراعات الدولية، وأن أي تغير في هذه المصالح والظروف قد يؤدي إلى تهديد وجود هذه البلدان، ولم تنجح هذه البلدان إلى يومنا هذا في تطوير منظومة سياسية-أمنية بينية تمنحها السلام والاستقرار. وتبعاً لضعف هذه البلدان، ولعقد الخوف من الانهيار والهيمنة والاستحواذ من جيرانها فإن بلدان المنطقة لا تزال تميل إلى الاستقواء بقوى عظمى لحماية نفسها من جيرانها، وتأريخياً فقد تعلمت قيادات هذه البلدان من خلال تجربتها بالحكم، باللعب على خطوط التنافس بين هذه القوى، والتحالف مع القوة التي تجدها أكثر استعداداً وقوة لحمايتها.

ولكن المتغيرات الدولية الحالية تبعاً لمؤشرات التغير في النظام العالمي القائم تجعل من البيئة السياسية والأمنية في المنطقة حالياً أكثر هشاشة مما كانت في السابق، فهي غير مستقرة، ومتصارعة، وحساسة لأقل التغيرات السياسية والأمنية؛ وبالتالي فإن هذه البيئة عرضة للتغيير والتحول، وتبعاً أيضاً لمصالح القوى الكبرى المؤثرة في العالم والمنطقة. ومع احتراق المنطقة في حروب أهلية في عدة جبهات، ودخول قوى إقليمية كالمملكة العربية السعودية وإيران وتركيا في حروب بالوكالة في سوريا والعراق واليمن وغيرها من مناطق، فإن المنطقة ستشهد تغيرات في التوازنات الإقليمية والاستقرار الإقليمي، ومن المحتمل أن تجد المنطقة نفسها في وضع جديد مختلف في المستقبل المنظور، ومع خارطة جديدة للمنطقة خلال العقد القادم. ومع أهمية هذه المنطقة جيوسراتيجياً فإنه لا يستبعد أن تكون إعادة رسم حدود المنطقة ضمن استراتيجية إدارة أي نزاع، أو صراع حالي أو مستقبلي بين هذه القوى. وقد

تكون الصراعات الحالية في المنطقة من وسائل إعادة تشكيل المنطقة.

نشر الجنرال الأميركي رالف بيترس تصوراً مستقبلياً لوضع منطقة الشرق الأوسط يُخضع الخليج فيه إلى إعادة تشكيل جيوسياسي يكون التقسيم خياراً لا مناص عنه⁶⁴، وقد يكون قلق المملكة العربية السعودية من هذا الكابوس الاستراتيجي محتمل التحقق هو أحد الأسباب التي تدعوها إلى اتخاذ مسارات أكثر تشنجاً في فرض هيمنتها في المنطقة وربما الدخول في صراع مباشر مع إيران في مرحلة لاحقة؛ مما يعني أن البلدين في صراعهما هذا يعملان على تحقيق هذه النبوءة في المنطقة.

فضلاً عن ذلك فإن سيطرة جيل جديد من القادة الشباب على مقاليد الأمور في الخليج، مع ضعف خبرتهم في قيادة الدول، وعدم كفاية الخبرة لديهم في إدارة الصراعات، ومع اشتعال المنطقة بصراعات غير محسومة ومفتوحة على كل الاتجاهات، يعني أن حالة عدم الاستقرار ستكون هي القاعدة وليس الاستثناء في المنطقة خلال المستقبل المنظور.

وطبقاً لقانون العواقب غير المتوقعة⁶⁵، فإن تصاعد الصراع السعودي-القطري ستكون له نتائج وتبعات ستغير الأوضاع في المنطقة، بغض النظر عن نتيجة هذا الصراع، تهدئةً كان أو اشتعالاً؛ ومن المحتمل أن طبيعة العلاقات بين هذه البلدان ستصبح أكثر تشرذماً، وستؤثر بنحوٍ مباشر وغير مباشر على الأمن والاستقرار في منطقة الخليج. وبغض النظر عن الطرف الذي سيفرض أجندته في النهاية، إلا أنه من المؤكد أن التحالفات الإقليمية-الإقليمية، أو الإقليمية-الدولية لن تكون كما هي عليه اليوم؛ ويبدو أن هذا المسار الذي اختطته المملكة العربية السعودية وحلفائها ضد قطر قد أدى إلى اختيار منظومة مجلس التعاون الخليجي كمنظومة جامعة لبلدان الساحل العربي من الخليج، وسنشهد استقطاباً خليجياً-خليجياً بنحوٍ أكثر وضوحاً وعلناً حول النفوذ السعودي في المنطقة.

64. Ralph Peters, Blood Borders, Armed Forces Journal, June 1, 2006.

65. The Law of Unintended Consequences